

البابا شنوده الثالث

تأملات في مزامير باكر

Contemplations of Some Psalms of Morning Prayer By H.H. Pope Shenouda III

أغسطس

١٩٩٥م

اسم الكتاب: تأملات في مزامير باكر.

اسم المؤلف: البابا شنوده الثالث.

الناشر: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس.

المطبعة: الأنبا رويس (الأوفست) – العباسية – القاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب: ٨٩٦٠/١٩٩٥م

I.S.B.N. 977-5345-29-4



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ١١٧

مقدمة الكتاب

المزامير هي كنز للتأملات الروحية.

لذلك تستخدمها الكنيسة في صلواتها اليومية، سواء الصلاة الخاصة للأفراد، أو صلوات المؤمنين داخل الكنيسة، أو الصلوات الطقسية: في عشية وباكر والقداس الإلهي.

وقد نشرنا لكم من قبل بعض التأملات في المزامير:

منها تأملات في مزامير الغروب. وتأملات في المزمور الثالث (يا رب لماذا)، وفي المزمور السادس (يا رب لا تبكتني بغضبك)، وفي المزمور العشرين (يستجيب لك الرب في يوم شدتك). وفي المزمور الخمسين (ارحمني يا الله كعظيم رحمتك).

وفي هذا الكتاب نقدم لك تأملات في أربعة مزامير:

وهي: المزمور الأول: طوبى للرجل.

مزمور ١١٢ (١١٣): سبحوا الرب أيها الفتيان.

مزمور ٦٢ (٦٣): يا الله أنت إلهي إليك أبكر.

مزمور ١٢ (١٣): إلى متى يا رب تنساني؟

نرجو أن تكون هذه التأملات عاملًا مساعدًا لك.

مجرد أن تفتح أمامك بابًا، تنطلق منه روحك في مجال تأملها كما تشاء.

وإلى اللقاء في مجموعة أخرى من المزامير، نتأمل فيها معًا.

وليعطينا الرب نعمة للتأمل، حسب عمل روحه فينا.

أغسطس ١٩٩٥م شنوده الثالث

المزمور الأول

طوبى للرجل..



المزمور الأول طوبى للرجل

طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار.

وفي طريق الخطاة لم يقف.

وفي مجلس المستهزئين لم يجلس.

لكن في ناموس الرب مسرته،

وفي ناموسه يلهج نهارًا وليلًا.

فيكون كشجرة مغروسة على مجاري المياه.

تعطي ثمرها في حينه، وورقها لا ينتثر.

ليس كذلك الأشرار، ليسوا كذلك.

لكنهم كالعصافة التي تذريها الريح عن وجه الأرض.

فلهذا لا يقوم الأشرار في يوم الدين،

ولا الخطاة في مجمع الصديقين.

لأن الرب يعرف طريق الأبرار،

أما طريق الأشرار فتباد.

هللويا

تأملات في المزمور الأول

هذا هو المزمور الأول من مزامير داود، والمزمور الأول في صـــلاة باكر حسب ترتيب الكنيسة المقدسة.

وهو مزمور له طابع وعظي أو إرشادي.

فهناك مزامير أو صـــلوات يغلب عليها طابع الطلب، وأخرى لها طابع الشـكر، وثالثة يغلب عليها الانسـحاق والاعتراف بالخطية، ورابعة عبارة عن كلام تسبيح وتمجيد. أما هذا المزمور فهو عظة، أو إرشاد تقدمه الكنيسة لك، تتلوه في باكر كل يوم لكي تتذكر كيف تسلك في هذا اليوم بغير عثرة، واضعًا وصايا الله أمام عينيك.

والكنيسة تقدم لك أيضًا في بدء صلاة باكر قطعة وعظية أخرى، عبارة عن فصـل من الرسـالة إلى أفسـس "الأصـحاح الرابع" يقول فيها القديس بولس الرسول: "أسألكم أَنَا الأَسِيرَ فِي الرَّبِّ: أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ (يليق) لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ إليها، بكل تواضع القلب والوداعة وطول الأناة، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ... إلخ" (أف٤: ١، ٢).

هذا الفصل من أفسس، وهذا المزمور، إرشاد لازم في بدء اليوم.

يشـابههما مزمور آخر من مزامير باكر، له نفس الطابع، هو المزمور ١٤ حيث يقول فيه المصـلي: "يَا رَبَّ مَنْ يَسْكنُ في مَسْكنِكَ، وَمَنْ يَحلُّ في جَبَلِ قُدْسِكَ؟ إلا السَّالِكُ بِلا عَيبٍ. والفَاعِلُ البِرَّ، والمتكَلِّمُ بالَحَقِّ في قَلْبِهِ، الذِى لا يَغشُّ بلِسَانهِ، ولا يَصْنعُ بقَرِيبِهِ سُوءًا"... إلخ". إنه أيضًا مزمور وعظ وإرشاد،

يوحي للمصلي كيف يسلك في يومه ليرضي الرب.

المسألة إذًا ليست مجرد صلاة، إنما هي أيضًا سلوك.

وعبارة سلوك تكررت في كل هذه الأمثلة الثلاثة في صلاة باكر: فكما وردت في هذا المزمور (مز١: ١)، وردت أيضًا في مزمور (١٤: ٢) وكذلك في (أف٤: ١). لأنه قد علمنا الرب قائلًا: "لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت٧: ٢١).

وهذا المزمور يعلمنا كيف نفعل إرادة الآب، لكي يقبل صلاتنا.

ولكي لا يوبخنا بقوله: "هذَا الشَّعْبُ... يُكْرِمُني بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا" (مت١٥: ٨) (إش٢٩: ١٣).

فما هي النصائح التي يقدمها لنا المرتل في هذا المزمور؟ إنه يبدأ بقوله: طوبى:

"طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ" (مز١: ١).

ويمكن أن تترجم "طوبى للإنسان..".

وحسن أن تبدأ أول كلمة في أول المزامير بعبارة الطوبى. وهكذا بدأ ربنا يسوع المسيح عظته على الجبل بعبارة طوبى أيضًا. إنها بشارة مفرحة...

كلمة طوبى

ما معنى كلمة "طوبى"؟

إنها تعني أمرين هما السعادة والبركة.

لذلك فأنا لا أستريح مطلقًا لمن يترجم كلمة "طوبى" في العظة على الجبل بكلمة "سعداء"، فيقول: سعداء هم المساكين بالروح... سعداء هم الودعاء... لأن هنا تركيز على السعادة فقط، وإغفال للبركة، بينما لا توجد سعادة بدون بركة. وكلمة مطوب Makarios تعني البركة والسعادة معًا. وفي أهم الترجمات الإنجليزية للكتاب تترجم بكلمة Blessed "مبارك" أو Happy "سعيد".

وفي الترجمة السبعينية بدأ المزمور الأول بكلمة Blessed "مبارك" ويبدأ كذلك في ترجمة:

King James Version وفي Revised Standard version وفي New International version.

وكذلك في الترجمة الأمريكية N.A.S.

الكل يجمعون على كلمة Blessed لأن البركة تحمل داخلها السعادة، وتكون أقرب إلى المعنى. على أني لست أرى عبارة البركة كافية، فكلمة Makarios تحمل البركة والسعادة معًا. فيمكن أن تترجم بعبارة "مطوب" أو "مغبوط" ولذلك حسنًا أن التطويبات ترجمت بكلمة Beatitudes كما في ترجمة كتاب القديس غريغوريوس أسقف نيصص عن التطويبات. وكلمة

طوبى كلمة عربية، فلماذا لا نستخدمها في ترجماتنا؟!

وما أجمل أن يرشدنا الوحي في أول المزامير إلى طريق السعادة والبركة.

فهذا هو الطريق الذي يريده لنا، من أول سفر التكوين، حيث وضع الله آدم وحواء في جنة فيها كل أنواع الراحة. وفي نفس الوقت "وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا..." (تك١: ٢٨). وهكذا كان الإنسان الأول أول مَنْ تمتع بالطوبى "السعادة والبركة"، وإن كان لم يثبت فيها.

وأبونا نوح وأولاده، أراد لهم الرب السعادة إذ خلصهم من الطوفان. وأيضًا "بَارَكَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ..." (تك٩: ١). فنالوا نفس بركة آدم وحواء، وإن كانوا أيضًا لم يثبتوا فيها، إذ أخطأ أولاد نوح... ولعن كنعان (تك٩: ٢٥). ففقد هذه الطوبى.

ومعلمنا داود النبي يبدأ بعض مزاميره بالطوبى والطرق الموصلة إليها.

فيقول: "طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ. طُوبَى لِرَجُل لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً" (مز٣٢: ١، ٢). "طوبَي لِمَنْ يَتعَطَّفُ عَلَي المسْكينِ، في يَومِ الشَّرِّ يُنَجّيهِ الرَّبُّ" (مز٤١: ١). ويقول كذلك: "طوباهُمْ الذينَ بلا عَيْبٍ في الطّريقِ" (مز١١٩: ١).

وتوجد الطوبى في كثير من مزاميره. فيقول: "طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي جَعَلَ الرَّبَّ مُتَّكَلَهُ" (مز٤٠: ٤). كما يقول: "طوبَي لِكلِّ السُّكانِ في بَيْتِكَ، يُبارِكونَكَ إلَى الأبَدِ. طُوبَى لأُنَاسٍ عِزُّهُمْ بِكَ" (مز٨٤: ٤، ٥).

أو "طوبى للرجل الذي نصـرته من عندك" كما في ترجمة أخرى ولكن ماذا يقول المرتل عن الطوبى في المزمور الأول؟

هنا يضع لنا الوحي على لسانه، أساسًا روحيًا للطوبى.

فمَنْ هو هذا المغبوط صاحب الطوبى؟ يجيب معلمنا داود ويقول:

نصيحة للسلوك

"طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْـلُكْ فِي مَشُـورَةِ الأَشْـرَارِ، وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ"...

وهنا يراعى التدرج في التصرف، وفي نوعية الصحبة الشريرة.

فالذي يلجأ إلى مشورة الأشرار، ويطيعها ويسلك فيها، سيتدرج أن يقف في طريقهم، أي يسـايرهم ويعرف سـبلهم. فإن فعل هذا سـيأتي عليه الوقت الذي يجلس في مجالسـهم. والجلوس يعني الاسـتقرار، وهو أصـعب من الوقوف في الطريق. وهذا الوقوف أصعب من مجرد سماع المشورة.

كما أن الأشـــرار والخطاة، أقل من المســـتهزئين، الذين يهزأون بالســـيرة المقدسـة وبكلام الله. ويتهكمون على الناس الفضـلاء، ويحيون حياة اللامبالاة. ويجذبون غيرهم إلى أســـلوبهم. لذلك تســـميهم بعض الترجمات الوبأيين، أي الذين هم مثل الوبأ، المرض المنتشر، كل مَنْ يختلط به يصاب بالعدوى.

فالكنيسة هنا تنصح أولادها بالبعد عن العثرات...

تقدم لهم هذه النصـيحة في كل صـباح، حتى يحترسـوا، لأن "الْمُعَاشَـرَاتِ الرَّدِيَّةَ تُفْسِدُ الأَخْلاَقَ الْجَيِّدَةَ" (١كو١٥: ٣٣).

فتنصـــحهم بأنهم إن كانوا قد خطوا خطوة، فلا يتدرجون إلى غيرها: فمَنْ سمع مشورة خاطئة، لا يسلك فيها. وإن سلك يقيم لنفسه حدودًا، فلا يقف مع الخطاة في طريق واحد. وإن فعل ذلك، فلا يجلس في مجالســـهم، ولا يختلط بالمستهزئين..

يبعد عن الخطوة الأولى، فهذا أفضل. وهذه الخطوة هي:

مشورة المنافقين

تخير أصدقاءك جيدًا، ولا تختلط بفكر غريب، ولا بنصيحة بطالة أو مشورة خاطئة. وكل توجيه تسمعه من أي إنسان كان، ضعه في ميزان وصية الله الصالحة، هذا إن كان في ناموس الرب مسرتك...

لا تسلك إذًا في مشورة الأشرار، مهما كانت تبدو نافعة.

فمَنْ هم هؤلاء الأشرار الذين ترفض مشورتهم؟

قد يكون الأشرار هم الشياطين، الذين سبق لنا في المعمودية أن جحدنا كل حيلهم الرديئة والمضلة. ولكنهم لا ييأسون من تقديم الفكر تلو الفكر. ومعلمنا بولس الرسول يقول عن الشيطان: "لأَنَّنَا لاَ نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ" (٢كو٢: ١١).

وقد يكون الأشرار هم **الناس** الأشرار بكل أفكارهم الخاطئة.

وقد ينطبق هذا المزمور على أناس أبرار أو قديســـين، ولكنهم قدموا مشـــورة خاطئة، كما حدث مع القديســـة رفقة حينما قدمت لابنها يعقوب فكرًا خاطئًا خدع به أباه إسحاق ليسرق منه بركة أخيه. وكان أبونا يعقوب يعرف أن مشـــورة أمه هي شـــرّ قد ينال عليه "لَعْنَةً لاَ بَرَكَةً". ولكنها طمأنته بقولها:

"لَعْنَتُكَ عَلَيَّ يَا ابْنِي" (تك٢٧: ١٢، ١٣). وسلك يعقوب في مشورة أمه. وكانت سقطة له.

ومثال رفقة في مشورتها، سلك القديس بطرس مع السيد المسيح.

وذلك حينما أراد أن يبعده عن الصليب، مستكثرًا ذلك عليه، بقوله: "حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا!". فسمع انتهار الرب له قائلًا له: "اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي" (مت١٦: ٢٢، ٢٣). كانت مشورة من الشيطان، نطق به القديس بطرس الرسول!

لذلك نحن لا نوافق على الطاعة العمياء.

فالطاعة ينبغي أن تكون حكيمة وبصيرة. وكما قال الرسول عن طاعة الوالدين: "أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ لأَنَّ هذَا حَقٌّ" (أف٦: ١). أما خارج الرب، فلا توجد طاعة، لأنه "يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ" (أع٥: ٢٩).

المشورة الخاطئة قد تكون من الشيطان، أو من الناس أيًا كانوا، أو من داخل الإنسان ذاته، من أفكاره أو رغباته الشريرة.

وأول سقطة للإنسان، كانت من سلوكه في مشورة الأشرار.

جاءت الحية "الشيطان". وقدمت مشورة شريرة لأمنا حواء، فسلكت فيها وسقطت. وحواء قدمت نفس المشورة لأبينا آدم. وسلك كلاهما في مشورة الأشرار. وأكلا من الشجرة المحرمة، وطردهما الله من الفردوس.

لا تقل أنا أستطيع أن أحفظ نفسي مهما اختلطت بالأشرار!!

فسليمان الحكيم نفسه، بعد خلطة خاطئة عن طريق زواجه بالغريبات، لم

تكن طريقه مستقيمة أمام الله، وأخطأ (١مل١١)، واستحق العقوبة من الله... وأنت لست أحكم من سليمان... وإن لم تخطئ اليوم، قد تخطئ غدًا أو بعد غد... وعلى الأقل، من الناحية الإيجابية لا تنمو ولا تستفيد.

المزمور يقول لم يسلك، ولم يقل لم يسمع...

فأنت لا تضمن عدم السماع، ما أكثر الذين يعرضون عليك مقترحات وأفكارًا ومشورات. لكن المهم أنك سمعتها، لا تسلك فيها. بل يكون لك الإفراز الذي تميز به المشورة الخاطئة، والإرادة الصالحة التي تمنعك من التنفيذ. إن الشيطان عرض على السيد المسيح ثلاثة أفكار ومقترحات. ولكن السيد ردّ عليها، وانتهر الشيطان أخيرًا (مت٤).

لا تسلك في المشورة الخاطئة، ولا تقف في طريق الخطاة.

أي إن عبرت على هذا الطريق، فأسرع باجتيازه ولا تقف فيه...

إنه طريق خاطئ، وقوفك فيه يعثرك، وقد يعثر غيرك. مثال ذلك إن عرضت عليك الشياطين فكرة، فلا تقف معها، بل أسرع بتركها ولا تتأمل تلك الفكرة، لأن تذكار الشر يلبس الموت.

أنت سائر في طريق الحياة وسترى أمامك طرق الخطاة، فلا تقف فيها، حتى إن حاولوا إقناعك بمشورتهم أنها نافعة. فالكتاب يقول: "تُوجَدُ طَرِيقٌ تَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً، وَعَاقِبَتُهَا طُرُقُ الْمَوْتِ" (أم١٤: ١٢) (أم١٦: ٢٥).

وفي مجلس المستهزئين لا تجلس

فهؤلاء المستهزئين لهم طبيعة الاستهتار بكل القيم، واللامبالاة، جلستهم لا

تمجد الله، وقد تطول. وقد تغير أفكارك، وقد تتعود أسلوبهم. وتصير كواحد منهم. وتكون قد تدرجت من سماع المشورة، إلى السلوك فيها إلى الوقوف في الطريق، إلى الجلوس مع المستهزئين.

لقد تدرج لوط، حتى جلس في مجالس سادوم.

"كَانَ الْبَارُّ، بِالنَّظَرِ وَالسَّمْعِ وَهُوَ سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ، يُعَذِّبُ يَوْمًا فَيَوْمًا نَفْسَهُ الْبَارَّةَ بِالأَفْعَالِ الأَثِيمَةِ" (٢بط٢: ٨). بل قال عنه القديس بطرس الرسول أنه كان "مَغْلُوبًا مِنْ سِيرَةِ الأَرْدِيَاءِ" (٢بط٢: ٧) لولا أن الله أرسل له ملاكين لإنقاذه، وإخراجه من ذلك المكان النجس. وقيل له: **"اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ... لاَ تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ... لِئَلاَّ تَهْلَكَ" (تك١٩: ١٧).**

كل هذا عن السلبيات. فماذا قال المزمور عن الإيجابيات؟

لكن في ناموس الرب مسرته

تحدثنا عن الطوبى التي للإنسان الذي لم يسلك في مشورة الأشرار كمشورة الحية لحواء (تك٣)، ومشورة إيزابل لآخاب (١مل٢١)، ومشورة أعداء المسيح لبيلاطس (مت٢٦: ٢٦). ولا حتى في المشورة الشريرة، وإن صدرت من أناس قديسين مثل مشورة القديسة رفقة لابنها يعقوب (تك٢٧)، ومثل مشورة القديس بطرس حينما قال: "حَاشَاكَ يَا رَبُّ!" (مت١٦: ٢٢).

إذًا هذا المزمور يدعو إلى البعد عن العثرات... عن كل مصدر تأتي منه الخطية...

ليس فقط من جهة الناس، الأشرار والخطاة والمستهزئين وإنما أي مصدر

آخر معثر، حتى لو كان كتابًا أو مجلة أو صـورة... أو مكانًا من الأمكنة أو فكرًا يخطر لك.

ابعد عن مصـادر الخطية، لأنها تبرد روحك، وتضـعك تحت تأثير خارجي خاطئ، وتعرضـك لحرب لا تدري نتائجها حتى إن انتصـرت عليها، ربما تترك في عقلك الباطن رواسب تفقدك نقاوتك.

****

ومع ذلك فالبعد عن الشـــر لا يكفي. وإنما ينبغي بالأكثر تقوية الحياة الروحية ومحبة الله في القلب.

وجميع الأمرين معًا واضـــح في قول المزمور: "حِدْ عَنِ الشَّـــرِّ، وَاصْـــنَعِ الْخَيْرَ" (مز ٣٤: ١٤). وأيضًـا في شـهادة الرب عن أيوب الصـديق أنه "رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ" (أي ١: ٨).

إن كانت الناحية الإيجابية أساسـية هكذا في الحياة الروحية، فما هي بداية الطريق إذًا؟ يقول المزمور.

لكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ

كلمة ناموس تعني شـريعة أو قانون. وناموس الرب هنا تعني وصـايا الرب وأوامره، أو تعني كلام الرب وكتابه بوجه عام.

في ناموس الرب مسرته، أي أنه يحب كلام الله.

ليسـت قراءة الكتاب المقدس بالنسـبة إليه واجبًا أو عبئًا، إنما موضـع لذة، ومتعـة روحيـة لـذلـك يقول داود النبي في المزمور (١١٩) "كلمـاتـكَ حُلوَة في

حَلْقى، أفضَـلُ من العَسَـلِ والشّـهدِ في فَمي"، "كَلِمَتُكَ مُمَحَّصَـةٌ جِدًّا وَعَبْدُكَ أَحَبَّهَا"، "أبتَهجُ أنا بكلامكَ، كمن وَجَدَ غَنائم كثيرةٍ"، "لأجْل هذا أحْبَبتُ وَصاياكَ أفضَل من الذّهَبِ والجَوهرِ" (مز ١١٩: ١٠٣، ١٤٠، ١٦٢، ١٢٧).

وأيضًا في كلام الله تعزية له وخلاصًا.

فيقول للرب في صلواته:

"اذكُرْ لعبدِكَ كلامَكَ الذي جَعلتني عليهِ أتّكل. هذا الذي عَزّاني في مَذلّتي" وأيضًـا "تَذكّرتُ أحْكامِكَ يا رَبُّ منذُ الدّهرِ فتَعزّيتُ" ويعتبر أن كلام الرب هو الذي يحفظ من الضـياع والهلاك، فيقول: "لو لم تَكنْ شَـريعَتكَ تلاوَتي لهَلَكتُ حينئذٍ في مَذلّتي" (مز ١١٩: ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٩٢).

إنه يشعر بفائدة شريعة الرب له وبحكمة وصاياه.

لذلك يقول له: "مِصباحٌ لرجليَّ كلامكَ ونورٌ لسَبيلي" (مز ١١٩: ١٠٥). إنه الذي ينير لي الطريق في ظلمة هذ العالم. إنه الذي "يُصَـيّرُ الْجَاهِلَ حَكِيمًا" فيقول: "وَصيَّةُ الرَّبِّ مُضيئةٌ. تُنَيرُ العَيْنيْنِ عَنْ بُعد" "شَهادَةُ الرَّبِّ صادِقَةٌ، تُعلّمُ الأطْفال" "قَرائِضَ الرَّبِّ مُسْـتقِيمةٌ، تُفْرّحُ القَلْب" "نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيّرُ الْجَاهِلَ حَكِيمًا" "أَشْهَى مِنَ الذَّهَبِ وَالإِبْرِيزِ الْكَثِيرِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقَطْرِ الشِّهَادِ" (مز ١٩: ٧، ٨، ١٠). ولذلك كله:

يلهج في ناموسه النهار والليل:

يقول للرب: "اشْـتقتُ إلى خَلاصِـكَ يا رَبُّ، وناموسـكَ هو تِلاوَتي" "تَكلمّتُ بشهادتِكَ قُدّامَ المُلوكِ ولم أخْز. ولَهَجْتُ بوَصاياكَ التي أحبَبْتُها جدًا" "بفَرائضِكَ

أَلْهَجُ، ولا أنْسى كلامكَ" "سَبقتْ عَيْنايَ وَقت السَّحَر لأَلْهَجُ في جَميعِ أقوالِكَ" "شهاداتِكَ هي دَرسي" "ناموسَكَ هو دَرسي" (مز ١١٩: ١٧٤، ٤٦، ٤٧، ١٦، ١٤٨، ٢٤، ٧٧).

لذلك يطلب التعمق في فهم كلام الله.

ويقول للرب: "اكشِفْ عن عَينَيَّ فأُبصرُ عَجائبَ ناموسِكَ" "غَريبٌ أنا في الأرضِ، فلا تُخْف عني وَصاياكَ" (مز ١١٩: ١٨، ١٩). لماذا يطلب هذا الكشف وهذه المعونة الإلهية؟ لأنه يقول: "لكُلِّ تَمامٍ رأيْتُ مُنتَهي، أما وَصاياكَ فواسِعةٌ جدًا" (مز ١١٩: ٩٦). كلما تأملت كلام الله، تجد معاني جديدة وأعماقًا جديدة، وينكشف لك ما لم تكن تدركه من قبل.

****

عبارة "وفي ناموسه يلهج نهارًا وليلًا" تذكرنا بوصية الرب ليشوع بن نون.

إذ قال له الرب: "لاَ يَبْرَحْ سِفْرُ هذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ فَمِكَ، بَلْ تَلْهَجُ فِيهِ نَهَارًا وَلَيْلاً، لِكَيْ تَتَحَفَّظَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ. لأَنَّكَ حِينَئِذٍ تُصْلِحُ طَرِيقَكَ وَحِينَئِذٍ تُفْلِحُ" (يش ١: ٨).

لا يقل أحد، ليس لدي وقت.

فيشوع بن نون كان قائدًا لجيش وقائدًا لشعب، وليست مشغولياتك أنت مثله... ومع ذلك قال له الرب: "لاَ يَبْرَحْ سِفْرُ هذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ فَمِكَ، بَلْ تَلْهَجُ فِيهِ نَهَارًا وَلَيْلاً"...

ونفس الوضع بالنسبة إلى داود النبي والملك، الذي كان رئيسًا لإمبراطورية واسعة ولم يكن له وزراء متخصصون... كما كان ربًا لأسرة كبيرة... ومع ذلك يتكلم أيضًا عن لهجه في ناموس الرب، وتلاوته ودراسته... ولم يعتذر بقلة الوقت...

بل إنه قبل داود، وقبل يشوع، ومن أيام موسى:

كانت هذه هي وصية الرب في سفر التثنية:

فقال: "وَلْتَكُنْ هذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ، وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلاَدِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ" (تث٦: ٦، ٧).

إذًا اللهج في ناموس الرب لا يكون فقط على المستوى الفردي، وإنما أيضًا على المستوى العائلي...

والسؤال الآن: هل أنت كذلك؟

إن هذه العبارة التي تتلوها من هذا المزمور في صلاة باكر، ليست مجرد صلاة، وإنما هي أيضًا عظة، هي وصية لك، تحكم بها على نفسك، وتختبرها هل أنت تجد مسرتك في تلاوة وصايا الرب؟ هل تلهج فيها النهار والليل؟ هل تحبها وتشتاق إليها؟ هل تقصها على أولادك؟ هل تتكلم بها حين تجلس في بيتك؟ هل تتأمل فيها حين تمشي في الطريق؟ وهل تتذكرها حين تنام وحين تقوم؟

هل تفرح بكلام الله كمَنْ وجد غنائم كثيرة؟ وهل هي أحلى من العسل

والشهد في فمك؟

تأمل إذًا في فائدة كلمة الرب لك.

حقًا ما أجمل ما قاله القديس يوحنا الحبيب للشـــباب، في رســـالته الأولى "كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ، لأَنَّكُمْ أَقْوِيَاءُ، وَكَلِمَةُ اللهِ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَقَدْ غَلَبْتُمُ الشِّرِّيرَ" (١يو٢: ١٤).

إذًا كلمة الله، إن ثبتت في العقل والقلب، تعطي قوة، وغلبة على الشرير... ليس كل الشـــباب أقوياء في الروح. ولكن الأقوياء هم الذين كلمة الله ثابتة فيهم. ولذلك غلبوا الشرير.

إن كلمة الله – كما قال الرب – هي روح وحياة (يو٦: ٦٣).

إذًا افهم روح الوصية، وحولها إلى جزء من حياتك.

تحب كلام الله، فتقرأ كلامه باســتمرار، وتلهج فيه باســتمرار فتثبت الكلمة فيك، وتعطيك قوة. وترد بها على حروب الشـــياطين. فكلما حاربتك خطية تضع أمامها وصية. فتجد استحياء داخلك من وصية الرب. كما أن الوصية تحمل نعمة خاصة تساعدك وتقويك.

انظر كلمة الرب وفاعليتها في القديس أنطونيوس الكبير.

ســواء وصــية "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ..." (مت١٩: ٢١) أو وصـــية "لاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ" (مت٦: ٣٤) ... أو أُنظر كلمة الرب لبولس الرسول: "لاَ تَخَفْ، بَلْ تَكَلَّمْ وَلاَ تَسْكُتْ، لأَنِّي أَنَا مَعَكَ، وَلاَ يَقَعُ بِكَ أَحَدٌ لِيُؤْذِيَكَ" (أع١٨: ٩، ١٠) بل تذكر كلمات الرب في عظاته، حيث قيل عنه إنه "كان

يتكلم بسلطان" (مر ١: ٢٢). الكلمة لها سلطان على الفكر والقلب والإرادة.

إنما يلزم لسلطان الكلمة ومفعولها، أن يكون هناك استعداد في القلب.

فلا تجعل كلمة الرب تصل فقط إلى أذنيك وإلى عقلك، وإنما بالأكثر تصل إلى قلبك، وتختلط بمشاعرك وتتحول إلى إرادتك. وفائدة أن تلهج بالكلمة نهارًا وليلًا، أنها تثبت فيك ولا تنساها. وهكذا قال داود النبي "خَبَّأْتُ كَلاَمَكَ فِي قَلْبِي لِكَيْلاَ أُخْطِئَ إِلَيْكَ" (مز ١١٩: ١١).

أما البعد عن كلمة الله وفاعليتها، فقد يُهلك.

كما قال داود النبي أيضًا: "ولو لم تَكنْ شَريعَتكَ تلاوَتي لهَلَكتُ حينئذٍ في مَذلّتي" (مز ١١٩: ٩٢). فإن كان نبيًا عظيمًا مثل داود يخشى الهلاك إن ابتعد عن تلاوة كلام الله، فماذا نقول نحن عن أنفسنا؟ كلام الله هو غذاء لنفسك وروحك، كما قال الكتاب:

"لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ" (مت ٤: ٤) (تث٨: ٣).

بها تحيا روحك، كما يحيا بالخبز جسدك... وبكلمة الله يمكن أن تحيا روحك في كل الظروف...

فيمكن أن عبارة الليل والنهار تؤخذ بمعنى رمزي: أي في وقت الحزن وفي وقت الفرح، في وقت التجربة، وفي وقت السعة. في وقت التعرض للسقوط، وفي وقت الصعود إلى فوق... في كل وقت... حينما تكون الدنيا مظلمة من حولك، وحينما تكون مشرقة ومضيئة.

وماذا يحدث لك حينما تلهج في كلمة الله؟

تكون كشجرة مغروسة على مجاري المياه

الماء يعطيها الحياة باستمرار. وأنت بالكلمة تأخذ غذاءك الروحي باستمرار. وقد شرحت لك رموز المياه من قبل، في عظتنا عن غسل الأرجل في كتاب "خميس العهد"، وفي محاضراتنا عن الرموز.

ويكفي هنا أن نذكر قول الرب: "مَنْ آمَنَ بِي... تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ. قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ" (يو٧: ٣٨، ٣٩).

إذًا المياه هنا ترمز إلى الروح القدس.

الروح "الناطق في الأنبياء" كما يقول قانون الإيمان... الروح الذي أوحى (٢بط١: ٢١) كما قال الرب للرسل: "لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ" (مت١٠: ٢٠). روح الله يعمل في الكلمة حينما تتلوها وترددها وتصلي بها. ويعمل في المزامير كما قال عنه الرب: "دَاوُدَ نَفْسَهُ قَالَ بِالرُّوحِ..." (مر١٢: ٣٦).

هذا الماء هو الماء الحي، أو ماء الحياة:

هذا هو الماء الحي الذي طلب الرب من المرأة السامرية أن تشرب منه، قائلًا لها: "مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (يو٤: ١٤). أو هو الماء الذي قال عنه الله في العهد القديم "تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ،

لِيَنْقُرُوا لأَنْفُسِهِمْ أَبْآرًا، أَبْآرًا مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً" (إر٢: ١٣).

شـــجرة مغروســـة على مجاري المياه... "وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ" (تك١: ٢).

لاحظوا قوله "مجاري المياه" ولم يقل مجرى المياه.

والماء الجاري هو الماء النقي الحي، بينما الماء الراكد ماء فاســـد، وهنا مجاري كثيرة للمياه تســـتقي منها نفســـك... كلمة الله ترويك، وكذلك المزامير والصلوات والقداسات والتسابيح والتراتيل والألحان والتأمل، والتناول... حقًا ما أكثر مجاري المياه التي تغذي شـــجرة حياتك. وإن حدث وأبعدتها عن مجاري المياه، تذبل وتتساقط أوراقها، ولا تعطي ثمرًا.

ولكن ماذا عن الشجرة المغروسة على مجاري المياه؟

****

"تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي حِينِهِ وَوَرَقُهَا لاَ يَنْتَثِرُ".

إن الله يريد من حياتك أن تكون مثمرة، إن بدأت حياتك بالتوبة، يقول: "اصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ" (مت٣: ٨) "فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ" (مت٣: ١٠). وما هو هذا الثمر؟ يقول الرســـول: "وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَـــلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَـــلاَحٌ، إِيمَانٌ، وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ" (غلا٥: ٢٢، ٢٣). فهل في حياتك هذه الثمار؟ أم يبكتك المزمور؟ تذكر قول الرب عن أهمية الثمار "مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ... كُلُّ شَـجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْـنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً" (مت٧: ١٦، ١٧).

تعطي ثمرها في حينه

المؤمن البار هو شجرة مثمرة:

لا بُدَّ أن يعطي ثمرًا، لأن عصـــارة الحياة تجري فيه، لأنه مغروس على مجاري المياه حياته لها ثمر. كلماته لها ثمر لا يمكن أن ترجع فارغة (إش٥٥: ١١). خدمته لها ثمر، ثلاثين وستين ومئة (مت١٣: ٢٣). كل هذه الثمار تدل على عمل الروح فيه، وعلى شـــركته مع روح الله... مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ" (مت٧: ١٦).

وهذا الثمر دليل على البركة:

وهكذا يقول الرب في أصـــحاح البركة: "مُبَارَكَةً تَكُونُ ثَمَرَةُ بَطْنِكَ وَثَمَرَةُ أَرْضِـــكَ" (تث٢٨: ٤). وهذا الإثمار هو طبيعة الشـــجر كما أرادها الله منذ البدء، حينما خلق "كُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرُ" (تك١: ٢٩) ... فهل أنت شجرة مثمرة؟ ما هو نوع ثمرك؟ وما كميته أو متى تعطي هذا الثمر؟ ... يقول المزمور: تعطي ثمرها في حينه.

فما معنى: تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي حِينِهِ؟

أول معنى أنك لا تتأخر في عمل الخير، كما يقول الكتاب: "لاَ تَمْنَعِ الْخَيْرَ عَنْ أَهْلِهِ، حِينَ يَكُونُ فِي طَاقَةِ يَدِكَ أَنْ تَفْعَلَهُ. لاَ تَقُلْ لِصَـــاحِبِكَ: "اذْهَبْ وَعُدْ فَأُعْطِيَكَ غَدًا" وَمَوْجُودٌ عِنْدَكَ" (أم٣: ٢٧، ٢٨).. ربما إذا تأخرت في عمل الخير، تحدث أضرار أو تضيع الفرصة وتندم...

أيضًا تعطي ثمرها في حينه قد تعني معنى آخر، وهو:

****

تعطي ثمرها في الحين المناسب له، حينما يكون لازمًا.

فحين يحتاج الناس، تعطي ثمر المحبة والرحمة والخدمة، وفي فترات السكون، تعطي ثمر الصلاة والتأمل، تعطي المشاركة الوجدانية في الحين المناسب "فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ" (رو١٢: ١٥) ... حين يسيء إليك أحد، تعطي ثمر الاحتمال... حين تصيبك تجربة، تعطي ثمر الصبر أو ثمر الشكر... حينما تسمع مديحًا، تعطي ثمر الاتضاع، وترجع الفضل لله...

****

اللطيف في الشجرة، أنها تعطي ثمرها لغيرها..

جذرها يمتد في الأرض ويمتص الغذاء والماء، ساقها يصعد إلى فوق حاملًا العصارة للفروع وللثمار والأوراق. وتحتمل الشجرة الحر والبرد وعصف الريح. وكل ذلك لكي تقدم ثمرًا ينتفع به الغير. فثمرها لغيرها لا لنفسها. وكل تعبها لكي تغذي الآخرين وتسعدهم وتغنيهم... إنها درس، هذه الشجرة المعطاءة التي تعيش لتعطي...

ليتنا نتذكر هذا، وباستمرار نعطي ثمارًا لغيرنا.

ونعطيهم هذه الثمار في الحين الحسن، وبالقدر الوافي وباستمرار... فلا ننقطع إطلاقًا عن العطاء. والماء الذي نمتصه من مجاري المياه والذي يرمز إلى عمل الروح ووسائط النعمة، هو أيضًا يكون لتقديم ثمار جديدة... ليست فقط ثمار الشجرة لغيرها، بل حياتها كلها لغيرها.

والثمر ليس هو فقط عمل البر، إنما هو الأبناء أيضًا.

كما قال الرب لآدم وحواء: "أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ" (تك١: ٢٨). وكان يعني إنجابهم... ولعل هذا أيضًا يكون درسًا للآباء والأمهات أن يكون نسلهم ثمرة لخير المجتمع الذي يعيشون فيه ولبناء الملكوت. وحينئذ يقول الرب لكل منهم: "مُبَارَكَةً تَكُونُ ثَمَرَةُ بَطْنِكَ..." (تث٢٨: ٤).

****

الإنسان شجرة مثمرة، تعطي ثمرها في حينه.. وماذا أيضًا؟ يقول المزمور: وورقها لا ينتثر...

ورقها لا ينتثر

فما معنى عبارة "وورقها لا ينتثر".

إن الورق بلا شك يعطي جمالًا ورونقًا للشجرة...

والشجرة العارية من الأوراق لا يكون لها منظر. ولعل المقصود هنا، أنه لا يكفي أن يكون الإنسان ذا ثمر، وإنما أيضًا يكون قدوة لغيره. كما يقول الرب "فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت٥: ١٦). وكما قال الرسول: "مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ" (رو١٢: ١٧) وهكذا لا يكونون عثرة في شيء بل يكونون رائحة المسيح الذكية أمام الكل (٢كو٢: ١٥).

المؤمنون الأبرار كالأشجار الدائمة الخضرة.

ليسوا "أَشْجَارٌ خَرِيفِيَّةٌ" (يه١٢). وإنما كما أنهم يقدمون ثمرًا، كذلك يقدمون

ورقًا... وورقهم لا ينتثر. بل يمكن أن يستظل تحته الناس... ولكنهم في نفس الوقت لا يكونون ورقًا بلا ثمر، كشجرة التين التي لعنها السيد المسيح (مت٢١: ١٩). لا يكونون مجرد مظهر بلا جوهر.. كل هذا من صفات الرجل البار، وماذا أيضًا؟

وكل ما يعمله ينجح فيه

إنها صفة لازمة للأبرار. ليس فقط النجاح، إنما النجاح في كل شيء في كل ما يعملونه.

ما أجمل ما قيل عن يوسف الصديق: "وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ فَكَانَ رَجُلاً نَاجِحًا" "وَرَأَى سَيِّدُهُ أَنَّ الرَّبَّ مَعَهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا يَصْنَعُ كَانَ الرَّبُّ يُنْجِحُهُ بِيَدِهِ" (تك٣٩: ٢، ٣). وفعلًا كان يوسف ناجحًا كابن، وكخادم، وكسجين، وكوزير.. ناجحًا في كل عمل...

وما أجمل أيضًا ما قاله القديس يوحنا الحبيب لتلميذه غايس "فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرُومُ أَنْ تَكُونَ نَاجِحًا وَصَحِيحًا، كَمَا أَنَّ نَفْسَكَ نَاجِحَةٌ" (٣يو٢).

النجاح عمومًا بركة من الرب، وفي نفس الوقت مكافأة للأمانة في العمل والطاعة.

قد يسمح الله بفشل الإنسان الذي يعصى وصاياه، كعقوبة إلهية على عصيانه، كما ورد في اللعنات التي سجلها سفر التثنية، وهي كثيرة (تث٢٨) وقد يكون الفشل وعدم النجاح نتيجة طبيعية لأخطاء الإنسان.

وبعكس ذلك نجاح مَنْ يتمم وصايا الله، كما قال الرب ليشوع بن نون: "لاَ

يَبْرَحْ سِفْرُ هذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ فَمِكَ، بَلْ تَلْهَجُ فِيهِ نَهَارًا وَلَيْلاً، لِكَيْ تَتَحَفَّظَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ. لأَنَّكَ حِينَئِذٍ تُصْلِحُ طَرِيقَكَ وَحِينَئِذٍ تُفْلِحُ" (يش١: ٨).

الفشل وعدم النجاح هو جزء من تساقط الأوراق.

حيث يتعرى الإنسان من المظهر الحسن أمام الغير... فيعثرون، ويقولون: كيف يكون أولاد الله هكذا؟! كيف أن الذين يذهبون إلى الكنيسة أو يخدمون فيها، يرسبون في امتحاناتهم، أو يفشلون في عملهم...؟! وكما قال السيد المسيح "إِنْ كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظَلاَمًا فَالظَّلاَمُ كَمْ يَكُونُ؟!" (مت٦: ٢٣).

إن سقطت أوراقكم، فصورة المثاليات أمام الناس تهتز...

وربما يتساءلون في قلوبهم هل حقًا هذه الشجرة مغروسة على مجاري المياه؟! وإن كانت هكذا، فلماذا تتساقط أوراقها؟! ولماذا تفشل في حياتها؟! إنها عثرة...

وهنا نقصد الفشل الذي يكون نتيجة الخطأ والإهمال، وليس الذي هو نتيجة لحروب خارجية وحسد الشياطين، أو ما يقوله مزمور آخر "كَثيرةٌ هِيَ أَحْزَانُ الصِّدّيقينَ" (مز٣٤: ١٩) ... في كل هذه يكونون ناجحين من الداخل، وورقهم لا ينتثر، بصبرهم واحتمالهم وبشاشتهم...

لذلك إن وجدت نفسك فاشلًا في شيء، راجع نفسك.

هل هذا بسبب خطأ، أو إهمال، أو سوء تصرف؟! أم هي محاربة خارجية لا دخل لإرادتك فيها. وباستمرار حاول أن تكون ناجحًا في كل عمل تعمله،

وأن تؤدي كل عمل بأمانة ودقة وجدية وبضمير صالح.

لأن القاعدة الأساسية أن يكون الإنسان البار ناجحًا، وكل ما يعمله ينجح فيه.

ليس كذلك الأشرار

ليس كذلك الأشرار، ليس كذلك...

الأشرار يفقدون بركة الله، وأيضًا يحصدون نتائج أخطائهم إنهم كما يقول الرسول "غُيُومٌ بِلاَ مَاءٍ... أَشْجَارٌ خَرِيفِيَّةٌ بِلاَ ثَمَرٍ..." (يه١٢).

ولعل الكتاب يقصد بالأكثر النجاح الروحي، أو النجاح الحقيقي. لأن هناك نجاحًا زائلًا أو زائفًا. وهنا تواجهنا المشكلة التي عاتب فيها إرميا النبي الإله قائلًا:

"لِمَاذَا تَنْجَحُ طَرِيقُ الأَشْرَارِ؟ اِطْمَأَنَّ كُلُّ الْغَادِرِينَ غَدْرًا!" (إر١٢: ١).

لماذا ينجح الذي يسلك بالرشوة، والذي يسلك بالتعلق والرياء، والذي يغطي أموره بالكذب والخداع؟! ولماذا ينجح السارق والظالم والعنيف والقاسي؟

بلا شك ليس هذا هو النجاح الحقيقي المقصود. لأن كل هؤلاء فشلوا في الداخل. فشلوا في القيم والمثل والروحيات، ولعلهم يذكروننا بقصة الغني الذي عاصر لعازر المسكين، وكيف أن هذا الغني "استوفى خيراته على الأرض" (لو١٦: ٢٥) لذلك فنصيبه في العالم الآخر هو العذاب.

والقديس أغسطينوس يشبههم بالدخان الذي يصعد إلى فوق وينتشر، وفيما هو يرتفع وينتشر، يتبدد.

بينما النار تبقى تحت، وهي محتفظة بحرارتها وفاعليتها...

أما المزمور فيتحدث عن النجاح الحقيقي، حتى لو أحاطوا به مِثْلَ النَّحْلِ حَولَ الشَّهْدِ، والْتَهَبوا كَنارٍ في شَوْكٍ (مز١١٨: ١٢). يوسف الصديق ألقي في السجن. ولكنه في داخله، وأمام الله، كان إنسانًا ناجحًا، بعكس المرأة التي اضطهدته...! (تك٣٩).

لذلك لا نحسد الأشرار على نجاحهم الزائف، مع انهيار أرواحهم وسقوطها، بل يقول عنهم المزمور إنهم:

كَالْعُصَافَة

"كَالْعُصَافَةِ الَّتِي تُذَرِّيهَا الرِّيحُ عَنْ وَجهِ الأَرضِ".

ربما ظن قايين أنه انتصر على هابيل وقتله. ولكن قايين في الحقيقة قد قتل نفسه، وصار كالعصافة التي تذريها الريح، "تَائِهًا وَهَارِبًا فِي الأَرْضِ" (تك٤: ١٤) بينما هابيل البار لم يمت بالحقيقية وقد طالب الرب بدمه الذكي (تك٤: ١١) (مت٢٣: ٣٥) "وَإِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمْ بَعْدُ!" (عب١١: ٤).

فرق كبير بين الشجرة والعصافة.

الشجرة الثابتة في الأرض، وحفنة التبن التي تطيرها الريح عن وجه الأرض!... ومهما ارتفع التبن إلى فوق، فهو تبن... إننا نحتاج إلى أن نقيس الأمور بمقاييس روحية لنعرف أن الأبرار كالشجرة الثابتة، والأشرار كالعصافة التي تذريها الريح. نعرف الفرق بين يوحنا المعمدان الذي أخذوا رأسه على طبق، وكان أعظم من ولدته النساء (مت١١: ١١). وأعظم من هيرودس الذي

قتله... وكان كالعصافة، ومرتجفًا وخائفًا... لأنه:

"لاَ سَلاَمَ، قَالَ الرَّبُّ لِلأَشْرَارِ" (إش٤٨: ٢٢).

ويقول الكتاب أيضًا: "يَنْطَفِئُ سِرَاجُ الأَشْرَارِ" (أي٢١: ١٧). باعتبارهم تبنًا أو قشًا أو عصافة، ترفعهم الريح إلى فوق، ومع ذلك لا ثبات لهم ولا سلام ولا قيمة، مهما ارتفعوا... وأيضًا:

"لا تَقُومُ الأَشْرَارُ فِي الدِّينِ".

لا تعني هنا القيامة من الأموات فهي للجميع كما قال الكتاب: "يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ" (يو٥: ٢٨، ٢٩).

أما عبارة لا يقوم الأشرار هنا، فمعناها لا تقوم لهم قائمة لا يقدرون أن يقفوا أمام الله من شدة خزيهم، ولا يستطيعون أن يبرروا أنفسهم أمام العدل الإلهي... أو لا يظل أحد منهم قائمًا أمام الله في يوم الدين، إذ يقول لهم "اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!... إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ!" (مت٧: ٢٣).. هم لا يستطيعون أن يقوموا في مجمع الأبرار.

حاليًا يختلط القمح بالزوان (مت١٣). ولكن في يوم الدين ليسوا كذلك. الغني في مكان، ولعازر في مكان آخر وبينهما هوة عظيمة (لو١٦: ٢٦). لذلك قال: "لا تَقُومُ الأَشْرَارُ فِي الدِّينِ، وَلاَ الْخُطَاةُ فِي مَجْمَعِ الصِّدِّيقِين"، "لأَنَّ الرَّبَّ يَعْلَمُ طَرِيقَ الأَبْرَارِ أَمَّا طَرِيقُ الأَشْرَارِ فَتُبَادُ"...

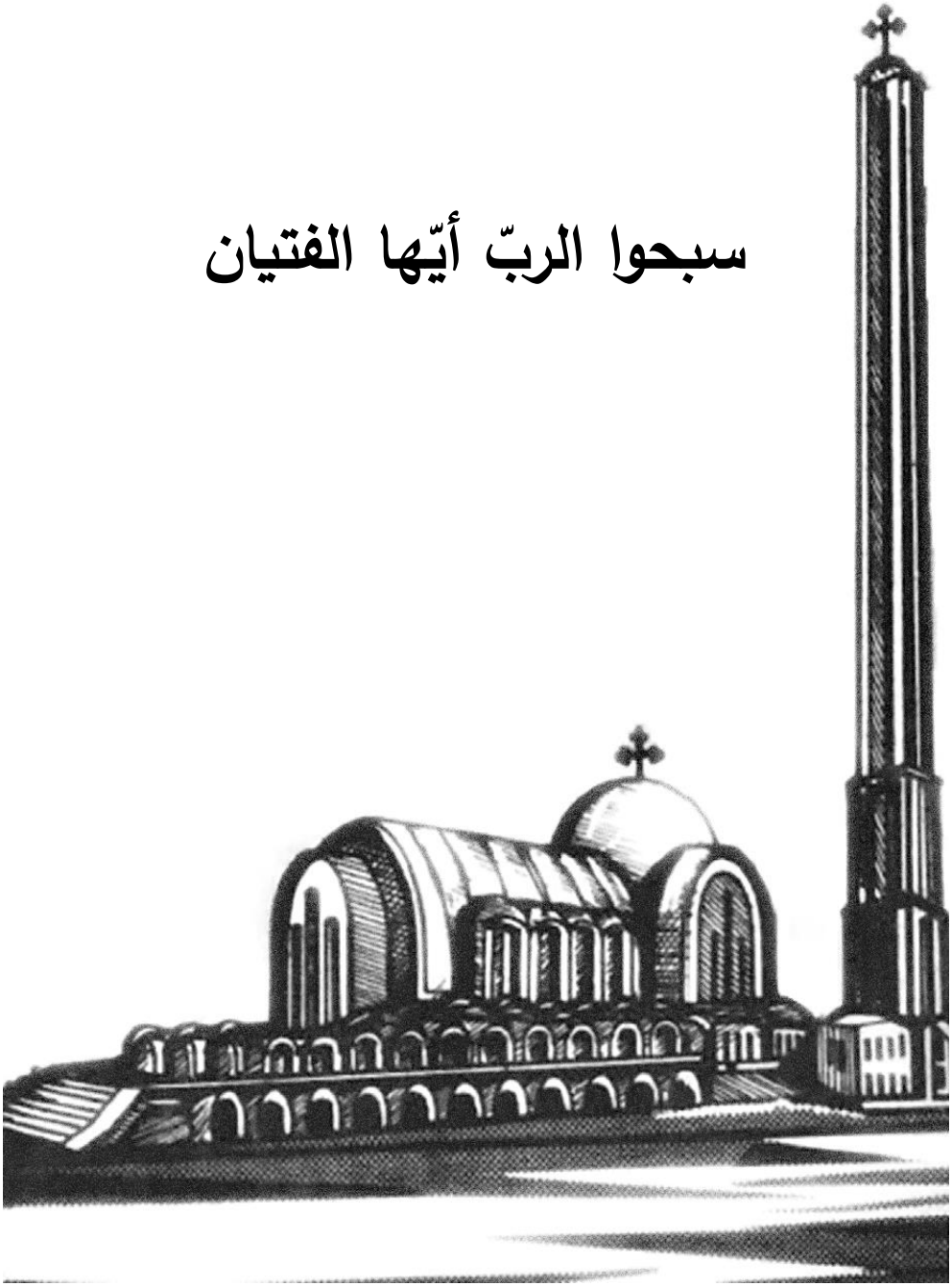
الرب يقول لهم لا أعرفكم، أي لا تستحقون معرفتي...

يطرحون في الظلمة الخارجية. وقد بادت كل طرقهم، ولم تعد تنفعهم بشيء، الريح تذريهم وتذري طرقهم أيضًا.

كل مكائدهم نحو الأبرار تنتهي. وكل افتخارهم أيضًـــا يباد، وكذلك كل كرامتهم التي كانت لهم على الأرض...

****

سبحوا الربّ أيّها الفتيان



سبحوا الربّ أيّها الفتيان

[مز ١١٢ (١١٣)]

سبّحُوا الرَّبّ أيُّها الفتِيانُ، سَبّحُوا اِسْمَ الرَّبّ.

لِيَكُنِ اِسْمُ الرَّبّ مُبارَكًا مِنَ الآنِ وإلى الأبَدِ.

مِنْ مَشَارقِ الشَّمْسِ إلى مَغارِبِها بَاركُوا اِسْمَ الرَّبّ.

الرَّبُّ عَالٍ عَلي كلِّ الأمُمِ، فَوْقَ السَّمَوات مَجْدهُ.

مَنْ مِثْلُ الرَّبّ إلَهنَا السَّاكِنِ في الأعَالي.

النَّاظِرِ إلي المتَواضِعات في السَّماءِ وعَلي الأرْضِ.

الْمُقِيمِ الْمَسْكِينَ مِنَ التُّرَابِ.

الرَّافِع البَائِسِ مِنَ المزْبَلةِ. لِكي يُجْلسَهُ مَعَ رُؤسَاءِ شَعْبِهِ.

الذِي يَجْعلُ العَاقِرَ ساكِنَة في بَيْتٍ، أمَّ أوْلادٍ فرِحةً.

هللويا.

التسبيح

تسبيح الرب هو أعمق أنواع الصلوات.

لأن فيه يتجرد المصـــلي من ذاته، ويتركز في الله وحده. فهو في صـــلاة التسـبيح لا يقدم طلبًا، ولا يعترف بخطية ويسـأل عنها غفرانًا، ولا يشـكر من جهة شـيء أخذه... إنما هو يتأمل في صـفات الله الجميلة، ويتغنى بها... إنه لا يصلي عن احتياج شخصي، وإنما عن حب...

صلاة التسبيح هي طقس السارافيم.

أولئك الملائكة الذين وقفوا حول العرش الإلهي يقولون: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ" (إش٦: ٣).

والكنيسـة تقدم لنا التسـابيح، في كتاب الإبصـلمودية، في تسـبحة الغروب، وتسـبحة نصـف الليل. وفي تسـابيح كيهك، وفي تسـبحة البصـخة (أسـبوع الآلام). وسـفر الرؤيا يقدم لنا تسـابيح أخرى... كلها تماجيد لله، بلا طلب... كما نقول في تسبحة البصخة: "لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين". وبمثل هذه التسبحة نختم الصلاة الربية.

والمزامير مملوءة بالتسابيح، يقول فيها المرتل.

"سَبِّحِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ" (مز١٤٦: ١) "سَبِّحِي الرَّبَّ يا أورُشَليمَ" (مز١٤٧: ١٢) "سَبِّحِي الرَّبَّ يا كُلَّ الأَرْضِ" "سَبِّحوا الرَّبَّ تَسْبيحًا جَديدًا" "سَبِّحوا الرَّبَّ وبارِكوا اِسْـمَهُ، بَشِّـروا مِنْ يَومٍ إِلَي يَومٍ بِخَلاصِـهِ" (مز٩٦: ١، ٢) وأيضًـا "سبِّحُوا الرَّبِّ أيُّها الفتِيانُ" (مز١١٣: ١).

ومن العجيب أن صلاة الساعة التاسعة، تحفل مزاميرها بالتسابيح، على الرغم أنها بمناسبة موت السيد على الصليب. فنحن نمجد هذا الموت، الذي به تم الخلاص للبشرية. ولا نخجل من موته، بل نفتخر به، إذ كان فيه كل الحب للبشرية، وكل البذل، وعظمة الفداء...

وتسبيح الرب تشترك فيه الطبيعة أيضًا..

ففي المزمور ١٤٨ نقول: "سَبِّحُوا الرَّبَّ... يَا أَيَّتُهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ. سَبِّحِيهِ يَا جَمِيعَ كَوَاكِبِ النُّورِ... سَبِّحِيهِ يَا سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ، وَيَا أَيَّتُهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ... سَبِّحِي الرَّبَّ مِنَ الأَرْضِ، يَا أَيَّتُهَا التَّنَانِينُ وَكُلَّ اللُّجَجِ. النَّارُ وَالْبَرَدُ، الثَّلْجُ وَالضَّبَابُ، الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ الصَّانِعَةُ كَلِمَتَهُ، الْجِبَالُ وَكُلُّ الآكَامِ" (مز١٤٨: ١ – ٩).

وفي المزمور ١٩ نقول: "اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ" (مز١٩: ١).

والتسبيح تشترك فيه الملائكة.

ليس فقط السارافيم (إش٦)، بل كل ملائكة الله. بل عجيب أن المرتل يطلب من الملائكة أن يشتركوا معه في التسبيح، فيقول: "سَبِّحُوهُ يَا جَمِيعَ مَلاَئِكَتِهِ. سَبِّحُوهُ يَا كُلَّ جُنُودِهِ" (مز١٤٨: ٢) "بَارِكُوا الرَّبَّ يَا مَلاَئِكَتَهُ الْمُقْتَدِرِينَ قُوَّةً، الْفَاعِلِينَ أَمْرَهُ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ كَلاَمِهِ" (مز١٠٣: ٢٠). بل الأطفال أيضًا، كما دافع عنهم الرب عند دخوله أورشليم، بقوله مكتوب:

"مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ والرُّضْعانِ هَيَّأْتَ سَبْحًا" (مت٢١: ١٦) (مز٨: ٢).

إن المرتل يريد أن يشـــترك الكل في تســـبيح الله. وما أجمل قوله "لأنّ كُلّ الأشْياء مُتعبّدَة لكَ" (مز ١١٩: ٩١).

فهل عندما تسمع نداء المرتل "سبحوا الله"، تستجيب لذلك وهنا أسأل:

ما هو مقدار التسبيح في حياتك؟

هل تمارسه؟ هل دربت نفسك عليه؟ هل تردد تسبحة الثلاثة تقديسات من كل قلبك؟ هل تســتخدم باقي صــلوات التســابيح المحفوظة؟ هل تقول لله مع المرنم: "ليسَ لَكَ شَبيهٌ في الآلِهَةِ يا رَبُّ" (مز ٨٦: ٨). يا رب مَنْ مثلك!! تكلم مع الله عن ذاته، وعن حبك لصفاته. تأمل في محبته، في مغفرته، في عظمته وجلاله... قل له كما في (مز ١١٩):

"مَحبوبٌ هوَ اسْمِكَ يا رَبّ فهو طولُ النّهارِ تِلاوتي" (مز ١١٩: ٩٧)

ردد عبارة التســبحة "اســمك حلو ومبارك، في أفواه قديســيك"... لاحظ أن الطلبات الثلاث الأولى في الصــلاة الربية، تدخل في نطاق التســبيح "لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ..."... إن الله غير محتاج إلى تسبيحك. لكنك بتسبيحك له، يتقدس فكرك.

يمكن أن تسبح الله بلسانك، وتسبحه بعملك.

وعن ذلك قال الســـيد الرب: "فَلْيُضِـــئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَـنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّـمَاوَاتِ" (مت٥: ١٦) ... كذلك كما تســبحه بلســانك، تســبحه بقلبك. كما نقول في التســبحة "قلبي ولســاني يسبحان القدوس".

المزمور

"سبّحُوا الرَّبّ أيُّها الفتِيانُ، سَبّحُوا اِسْمَ الرَّبّ" (مز١١٢: ١).

كلمة (الفتيان) كما تعني الصغار والأحداث والأطفال، تعني أيضًا المتضعين حسب تفسير القديس أغسطينوس. فلكي لا يظن بعض الكبار أن هذا المزمور لا يخصهم، على اعتبار أنهم قد شاخوا، نقول إنه ليس للكبار الذين كبروا في أعين أنفسهم. بل هو للذين هم صغار في أعين أنفسهم مهما كبروا. هو للمتضعين والحديثي الإيمان.

ويمكن أن يقوله الآباء والخدام لأبنائهم.

يقوله الآباء والأمهات لأبنائهم: سبحوا الرب أيها الفتيان. بل يكتبون هذه الآية ويعلقونها في بيوتهم، كدرس دائم. ونفس العبارة يقولها الآباء الكهنة وخدام مدارس الأحد، لكل مَنْ هم تحت مسئوليتهم. إنها مبدأ تربوي. نقوله لأنفسنا ولأولادنا. وإن تذمروا لسبب ما، نقوّمهم بهذه الآية. ونضع أمامهم هذه الآية مهما أصابهم.

فعلينا أن نسبح الله، مهما أصابتنا الضيقات.

ومثالنا في ذلك أيوب الصديق، الذي في كل تجاربه وضيقاته وآلامه كان يقول: "لْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا" (أي١: ٢١). لذلك ينبغي أن نسبح الرب ونشكره على كل حال، ومن أجل كل حال، وفي كل حال، سواء كنا عند جبل التجلي، أو كنا في الجلجثة أو جثسيماني. نباركه في الضيقة كما في السعة. حينما تغمرنا بركاته، وحينما تلاحقنا شماتة الأعداء...

سهل أن نقول: "بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَلاَ تَنْسَيْ كُلَّ حَسَنَاتِهِ" (مز١٠٣: ٢). ولكن هل تستطيع أن تسبح اسم الرب، وأنت في بطن الحوت، تقول: "طَرَحْتَنِي فِي الْعُمْقِ فِي قَلْبِ الْبِحَارِ... جَازَتْ فَوْقِي جَمِيعُ تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ". وتقول معها أيضًا: "أَمَّا أَنَا فَبِصَوْتِ الْحَمْدِ أَذْبَحُ لَكَ..." (يون٢: ٣، ٩).

تسبح اسم الرب في الظلمة وفي النور. حينما يستجيب صلواتك، أو تظن أنه لم يستجب. تسبحه في أوقات النجاح، وفي أوقات الفشل، في أوقات الاضطهاد، وفي أوقات التعزية.

الذين يسبحون الله باستمرار، يملك السلام قلوبهم. لا يتضايقون ولا يتذمرون.

ومن الناحية الأخرى، الذين يملك السلام قلوبهم، يسبحون الرب في كل حين. حقًا ما أجمل قول المرتل في المزمور: "أُبَارِكُ الرَّبَّ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ تَسْبَحَتُهُ فِي فَمِي. بِالرَّبِّ تَفْتَخِرُ نَفْسِي" (مز٣٣: ١، ٢).

****

لِيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا مِنَ الآنَ وَإِلَى الأَبَدِ.

اسم الرب العالي، الذي ترتعد أمامه الملائكة، الاسم الذي هو فوق كل اسم، فليكن مباركًا في كل حين، لا نذكره إلا بكل تمجيد، قائلين له: "ليتقدس اسمك". لا نتذمر عليه مهما حدث، ولا ننسب إليه شرًا أو ظلمًا، ولا ندّعي إنه قد نسينا أو قصر في رعايتنا! حاشا... إنما كل ما يصيبنا من ضيقات له أسباب أخرى. والرب سيتدخل فيها ويصلحها. لذلك فليكن اسم الرب مباركًا من الآن وإلى الأبد، وأيضًا:

****

"مِنْ مَشَارقِ الشَّمْسِ إلى مَغارِبِها بَارِكُوا اِسْمَ الرَّبِّ".

يمكن أن تعني هذه العبارة من الصباح إلى المساء، أي كل الوقت. ويمكن أن تعني من مشارق الشمس – جغرافيًا – إلى مغاربها، أي كل الدنيا. فهي دعوة لكل الشعوب أن تبارك اسم الرب، أو هي صلاة نوجهها إلى الله أن يفتقد كل تلك الشعوب البعيدة في أقصى الشرق، التي تعبد براهما وبوذا وكنفوشيوس، وعبادات أخرى كثيرة، لكي تؤمن وتبارك اسم الرب، وهي تشمل آلاف الملايين. فكأنها صلاة أن يمتد ملكوت الله، ليشمل الأرض كلها. لأنه "لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا" [مز٢٣ (٢٤): ١].

في كل هذا، لا يطلب المصلي لأجل نفسه، إنما لأجل الرب وملكوته في كل مكان... عجيب هذا المزمور في نسيان المصلي لنفسه، وتركيزه على الله وعلاقة الناس به. فهو يقول بعد ذلك:

****

الرَّبُّ عَالٍ فَوْقَ كُلِّ الأُمَمِ. فَوْقَ السَّمَاوَاتِ مَجْدُهُ. مَنْ مِثْلُ الرَّبِّ إِلهِنَا السَّاكِنِ فِي الأَعَالِي؟

إن كان الرب ساكنًا في الأعالي، فعلى الأقل يسكن في قلوب الناس... حتى إن كانت الأمم تنكره، فهذا لا يضيره، ولا ينقص من مجده، لأنه عالٍ على كل الأمم. ولأن مجده فوق السماوات، وفوق الملائكة. وهناك سماء أعلى من هذه السماوات، هي "سماء السماوات" إذ قيل للرب: "هُوَذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لاَ تَسَعُكَ" (١مل٨: ٢٧) ... حقًا، "مَنْ مِثْلُ الرَّبِّ إِلَهنَا السَّاكِنِ في

الأعَالي".

إن كان علوك بهذا القدر، فمَنْ نحن حتى نقترب إليك؟!

هل هذا يشعرنا بصغر نفس وإحباط ويأس، إذ لا نقدر على الاقتراب من الله "الساكن فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ" (١تي٦: ١٦)، الذي فوق السماوات مجده.. كلا، فإن المزمور يمنحنا الرجاء في الله بقوله عنه:

****

السَّاكِنِ في الأعَالي. النَّاظِرِ إلى المتَواضِعات:

"النَّاظِرِ إلي المتَواضِعات في السَّماءِ وعَلى الأرْضِ" "المُعْطي البَهائِمَ طَعامَها ولِفِراخِ الغِرْبانِ الَّتي تَدْعوهُ" (مز١٤٦ (١٤٧): ٩). الذي يقول عنه المزمور: "الرَّبُّ قَرِيبٌ لِكُلِّ الَّذِينَ يَدْعُونَهُ" (مز١٤٥: ١٨).

كثير من البشر إذا ارتفع قدرهم أو منصبهم، يرتفع قلبهم، ويتعالون على مَنْ هم أقل منهم، كما قال الشاعر:

لما صديقي صار من أهل الغنى .:. أيقنت أني قد فقدت صديقي

أما الله فليس هكذا: إنه الساكن في الأعالي، وفوق السماوات مجده. وعلى الرغم من ذلك، هو الناظر إلى المتواضعات في السماء وعلى الأرض. ولما لم نستطع أن نصعد إليه، نزل هو إلينا...

"الرَّبُّ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً" (يع٤: ٦).

الملاك المتكبر الذي قال: "أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ

اللهِ... أَصِـــيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ" (إش١٤: ١٣، ١٤). هذا "انْحَدَرْ إِلَى الْهَاوِيَةِ، إِلَى أَسَـــافِلِ الْجُبِّ" (إش١٤: ١٥). أما الملائكة المتواضـــعون "الْفَاعِلِينَ أَمْرَهُ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ كَلاَمِهِ" (مز١٠٣: ٢٠)، فهؤلاء أعطاهم نعمة...

العذراء، اختارها الرب من بين كل النســـاء، "لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَـــاعِ أَمَتِهِ" (لو١: ٤٨).

وهكذا قالت في تسـبحتها "أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ الْكَرَاسِـيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِـعِينَ... شَـتَّتَ الْمُسْـتَكْبِرِينَ بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ" (لو١: ٥٢، ٥١). إن أيوب الصـديق، حينما كان "بَارًّا فِي عَيْنَيْ نَفْسِـهِ" (أي٣٢: ١) دخل في تجربة. ولكنه حينما تواضـع، ورفض البر الـذاتي، وقـال: "أَرْفُضُ وَأَنْـدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَـادِ" وحينمـا قـال: "نَطَقْتُ بِمَا لَمْ أَفْهَمْ. بِعَجَائِبَ فَوْقِي لَمْ أَعْرِفْهَا" (أي٤٢: ٦، ٣)، حينئذ انتهى وقت تجربته، "وَرَدَّ الرَّبُّ سَـــبْيَ أَيُّوبَ... وَزَادَ الرَّبُّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لأَيُّوبَ ضِعْفًا" (أي٤٢: ١٠).

هذا الإله الناظر إلى المتواضعات، قيل عنه أيضًا إنه:

****

"المقِيمِ المسْـكِينَ مِنَ التُّرابِ، الرَّافِعِ البَائِسِ مِنَ المزْبَلَةِ. لِكي يُجْلِسَـهُ مَعَ رُؤَسَاءِ شَعْبِهِ".

هكذا فعل الله مع داود الذي كان مســـكينًا بين يدي شـــاول الملك، وكان محتقرًا من إخوته، الذي قال: "أَنَا صَـــغِيرًا كُنْتُ... فِي بَيْتِ أَبِي" "وَغَرِيبًا عِنْدَ بَنِي أُمِّي" (مز١٥١: ١؛ ٦٩: ٨)، هذا رفعه الله، وصـيره ملكًا، وصـار أعلى من كل بيت شاول.

وكذلك يوسف الصديق، الذي كان مسكينًا في يدي إخوته فألقوه في البئر وباعوه للإسماعيليين (تك٣٧: ٢٤، ٢٨)، هذا رفعه الله "وجعله أَبًا لِفِرْعَوْنَ وَسَيِّدًا لِكُلِّ بَيْتِهِ وَمُتَسَلِّطًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ" (تك٤٥: ٨).

كذلك يمكن أن يطلق هذا على كنيسة الأمم.

التي كانت من الغرباء، بلا أنبياء بلا آباء، بلا شريعة، بلا عهود، فصارت "رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ" (أف٢: ١٢، ١٩)

ويمكن أن تنطبق على كل إنسان منسحق القلب. وكذلك على الإنسان التائب الذي يقبله الله، ويسكنه الروح القدس. وينطبق عليه قول المزمور:

*****

"الذِي يَجْعلُ العَاقِرَ ساكِنَة في بَيْتٍ، أمَّ أوْلادٍ فرِحةً!".

من الناحية الحرفية، تنطبق هذه الآية على كثير من العواقر: أمثال سارة أم إسحاق، وراحيل أم يوسف الصديق، وحنة أم صموئيل، وأليصابات أم يوحنا المعمدان، وعلى كثير من العواقر.

وتنطبق على كنيسة الأمم، التي قيل عنها في سفر إشعياء النبي: "تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ... أَوْسِعِي مَكَانَ خَيْمَتِكِ، وَلْتُبْسَطْ شُقَقُ مَسَاكِنِكِ... لأَنَّكِ تَمْتَدِّينَ إِلَى الْيَمِينِ وَإِلَى الْيَسَارِ، وَيَرِثُ نَسْلُكِ أُمَمًا، وَيُعْمِرُ مُدُنًا خَرِبَةً" (إش٥٤: ١- ٣).

وتنطبق الآية أيضًا على النفس الخاطئة التي كانت عاقرًا من جهة البر، ثم بدأت تنجب من الروح القدس فضائل عديدة، وأصبحت ساكنة في بيت الله،

أم أولاد فرحة.

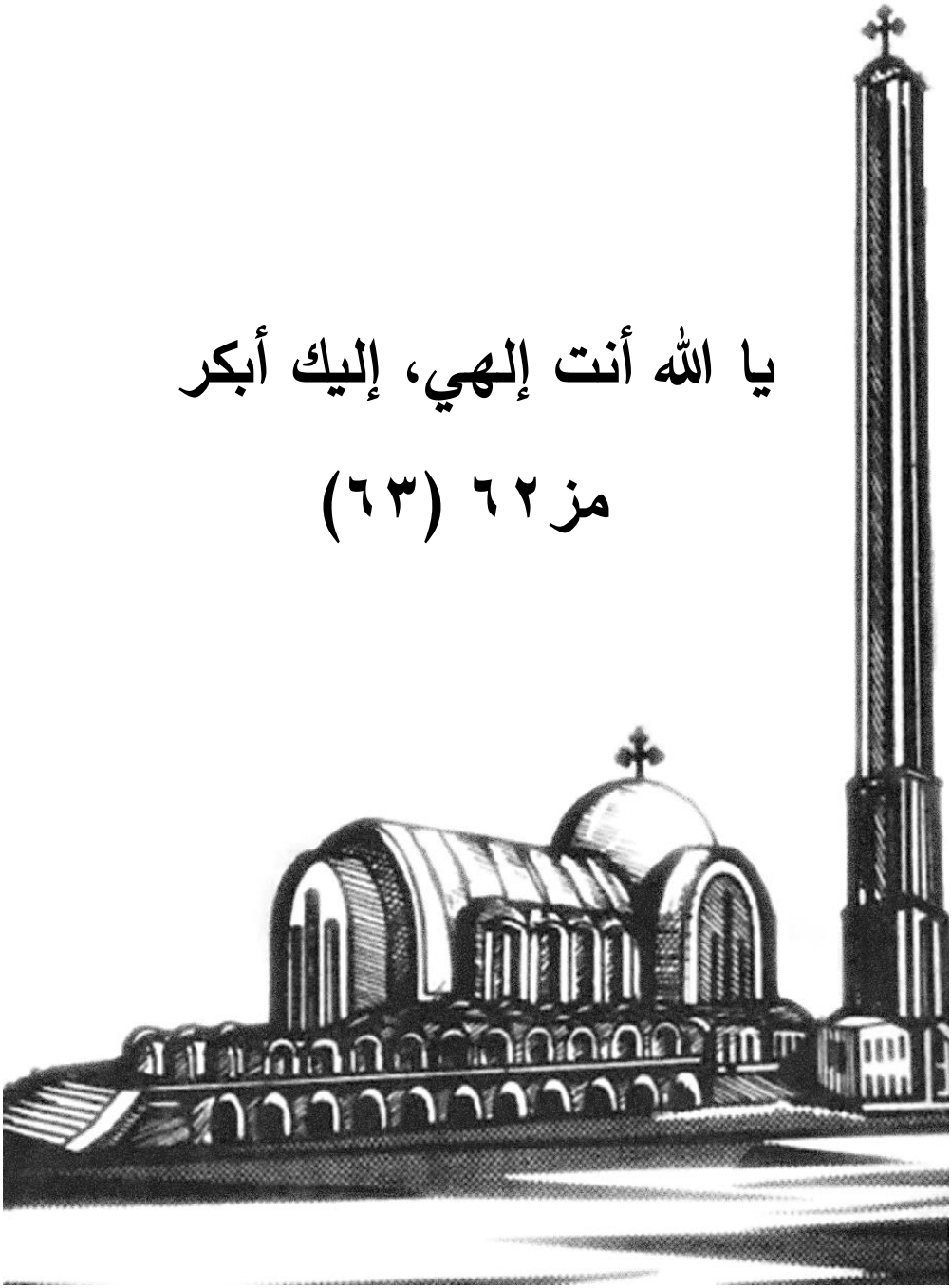
إنها تنطبق على الأرض التي "كانت خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ"، ثم "قَالَ اللهُ: لِيَكُنْ نُورٌ، فَكَانَ نُورٌ" (تك١: ٢، ٣). ثم عمرت الأرض بالإنسان والنبات والحيوان والطبيعة، وصارت أم أولاد فرحة.

وهذه الأرض هي رمز لكل نفس بشرية كانت في مثل حالتها، وأشفق عليها الله، فصارت عامرة بكل ثمار الروح، أم أولاد فرحة.



يا الله أنت إلهي، إليك أبكر

مز٦٢ (٦٣)



يا الله أنت إلهي، إليك أبكر

مز٦٢ (٦٣)

يا الله أنت إلهي، إليك أبكر، عطشت نفسي إليك.

لكي يزهر لك جسدي في أرض مقفرة، وموضع غير مسلوك، ومكان بلا ماء. هكذا ظهرت في القدس، لأرى قوتك ومجدك.

لأن رحمتك أفضل من الحياة.

شفتاي تسبحانك، لذلك أباركك في حياتي.

وباسمك أرفع يدي، فتشبع نفسي كما من شحم ودسم.

شفاه الابتهاج تبارك اسمك. كنت أذكرك على فراشي.

وفي أوقات الأسحار كنت أرتل لك.

لأنك صرت لي عونًا، وبظل جناحيك أبتهج.

التحقت نفسي وراءك، ويمينك عضدتني.

أما الذين طلبوا نفسي للهلاك، فيدخلون في أسافل الأرض، ويدفعون إلى يد السيف. يكونون أنصبة للثعالب.

أما الملك فيفرح بالله. ويفتخر كل مَنْ يحلف به.

لأن أفواه المتكلمين بالظلم تسد.

هللويا.

مناسبة المزمور

قال داود هذا المزمور وهو في البرية، حينما كان هاربًا من شـــاول الملك الذي كان يطارده ويريد قتله.

في الواقع إن المزامير التي قالها داود وهو في الضـيقة، كانت من أجمل مزاميره.

قالها بنفسية حسّاسة، وقلبه متصل بالله. وقد رفعه الألم إلى مستوى عميق من المشاعر. وكما قال أمير الشعراء:

ومُتعتَ بالألم العبقريّ وأنبغ ما في الحياة الألم

ليس الألم شـيئًا رديئًا، إن أحسـن الإنسـان اسـتغلاله. فهو يعصـر النفس ويُخرج منها روحيات جميلة. ونلاحظ أن داود النبي، كان – إذا أحاطت به المشاكل – لا يتذمر ولا يتضجر، بل يرفع قلبه إلى الله مصليًا. وحالما يتصل قلبه بالله في الصـلاة، ترتفع روحه. فلا تضـغطه المشـاكل ولا الضـيقات. كان يعالج الضيقة بالصلاة.

وكان في صلاته ينسى المشكلة ويتذكر الله.

وحينئذ كان يستريح من الداخل، بل تتحول طلبته إلى شكر.

وإذ لا يجد معونة من الله، يلجأ إلى الله ليأخذ منه العون.

هدفه ووسيلته

إنه من أجمل مزامير داود، في شرح العلاقة مع الله:

١- يشرح اشتياقه إلى الله بقوله: "عَطِشَتْ إِلَيكَ نَفْسِي" "يزهر لك جسدي" "الْتَحَقَتْ نَفْسي وَرَاءَكَ".

٢- يسبّح الله بقوله: "شَفَتايَ تُسبِّحانِكَ. لذلِكَ أُبارِكُكَ في حَياتِي".

٣- يظهر شبعه بالله في قوله: "باسْمِكَ أَرْفَع يَدِي. فتَشبعُ نَفْسِي كَما مِنْ شَحْمٍ ودَسَمٍ".

٤- يتحدث عن الشركة مع الله، والعلاقة مع الله، والحديث مع الله. فيقول: "كنْتُ أَذْكرُكَ عَلي فِراشِي. وفي أَوْقاتِ الأَسْحَارِ كُنتُ أرتِّل لَكَ".

٥- يتكلم عن اعتماده على الله، فيقول: "لأَنَّكَ صِرْتَ لي عَونًا، وبِظلِّ جَنَاحَيكَ أَبْتَهجُ".

٦- يتكلم عن انتصاره عن طريق معونة الله، فيقول: "أَمَّا الذِينَ طلَبُوا نَفْسي لِلْهَلاكِ، فيَدْخلُونَ في أسافِلِ الأَرْضِ. ويُدْفَعونَ إلي يَدِ السَّيْفِ".

هذا هو ملخص علاقته بالله:

الاشتياق إلى الله. تسبيح الله. الشبع به.

الشركة معه. الاعتماد عليه. الانتصار بواسطته.

٧- أما الطريقة التي سلك بها داود، فهي أنه حاول أن يمسك بالله بكل الطرق:

أولًا: بالإيمان، إذ يقول: "يَا اللهُ إِلَهِي أَنْتَ".

ثانيًا: بالحب، إذ يقول: "عَطِشَتْ إِلَيْكَ نَفْسِي...".

ثالثًا: بالرجاء، إذ يقول: "أَمَّا الملِكُ فَيفْرحُ باللهِ" وقوله: "لأَنَّ رحْمتَكَ أَفْضَلُ مِنَ الحَياةِ".

رابعًا: بالصلاة، إذ يقول: "كنْتُ أَذْكرُكَ عَلي فِراشِي. وفي أَوْقاتِ الأَسْحَارِ كُنتُ أرتِّل لَكَ" "وباسْمِكَ أَرْفَع يَدِي. فتَشْبعُ نَفْسِي...".

بعد هذه المقدمة، فلنتناول المزمور آية، آية.

يا الله أنت إلهي

بهذا يظهر إيمانه بالله، ويذكر أن الله هو إلهه الخاص.

يكلمه لا كإله لكل الناس، ولكل الشعوب والأمم، وإنما باعتباره إلهه الخاص.

"أَنْتَ إِلَهِي". بيني وبينك علاقة خاصة... كمَنْ يقول للسيد المسيح "أنت مخلصي"، مع أنه مخلص العالم كله...

والله نفسه كان يستخدم هذا الأسلوب أحيانًا، فيقول: "أَنَا إِلهُ... إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ" (خر٣: ٦). وهكذا أيضًا صلى يعقوب وقال: "يَا إِلهَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَإِلهَ أَبِي إِسْحَاقَ..." (تك٣٢: ٩).

إن الله يوافق أيضًا على هذه العلاقة الخاصة.

يحدثنا التاريخ أحيانًا: إنه حينما كانت تحدث معجزة أثناء تعذيب مار

جرجس، كان كثيرون يؤمنون ويصـــيحون قائلين: "نؤمن بإله مار جرجس" أو "عظيم هو إله مار جرجس"... مع أنه إله العالم كله.

ومن أمثلة ذلك، بعد معجزة نجاة الثلاثة فتية من أتون النار، أن نبوخذ نصـر الملك قال: "تَبَارَكَ إِلهُ شَـدْرَخَ وَمِيشَـخَ وَعَبْدَنَغُوَ..." (دا٣: ٢٨). وكذلك فعل داريوس الملك بعد نجاة دانيال من جب الأســـود، الذي كتب إلى كل شـــعوب مملكته قائلًا: "مِنْ قِبَلِي صَـــدَرَ أَمْرٌ بِأَنَّهُ فِي كُلِّ سُـــلْطَانِ مَمْلَكَتِي يَرْتَعِدُونَ وَيَخَافُونَ قُدَّامَ إِلـهِ دَانِيآلَ، لأَنَّـهُ هُوَ الإِلـهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ إِلَى الأَبَدِ..." (دا٦: ٢٦).

كثيرون يعبدون الله، ولكنهم لا يشعرون إنه هو إلههم بالذات.

يصـلي الواحد منهم إلى الله، دون أن يشـعر أنه هو إلهه الخاص. ولا يقول له "يا الله أنت إلهي"، أنت الذي خلقتني من العدم، أنت الذي ترعاني. حقًا إنك ضابط الكل، لكنك بالنسبة إليَّ لك رعاية خاصة بي أعرفها جيدًا...

وما أكثر أمثال هذه التأملات في القداس الغريغوري، التي يصـــلي فيها الكاهن بأسلوب المفرد "أنت الذي خلقتني إذ لم أكن... رفعت لي السماء سقفًا، وثبتّ ليَّ الأرض كي أمشـــي عليها. من أجلي ألجمت البحر. من أجلي أخضعت طبيعة الحيوان...".

إليك أبكر

إيمانك بالله كإله خاص بك، لا بُدَّ أن يكون له تأثير عملي في حياتك. فالإيمان الإسمي أو الشكلي أو الظاهري، لا ينفعك بشيء.

ما دام هو إلهك، ينبغي أن تبكر إليه، لتتحدث معه.

ويكون أول مَنْ تنشـــئ معه علاقة في يومك. فالمحبة التي لا يثبتها العمل هي محبة باطلة أو محبة ناقصـــــة. لذلك فأنت في محبتك لله، تظهر محبتك بتبكيرك للتواجد معه. فأول ساعة من يومك تخصصها له. وهكذا تعطيه بكور وقتك. وعلى الأقل يكون الله هو أول مَنْ تتحدث معه في يومك.

ويتقدس يومك إذ يبدأ بالله.

إذ تعطيه الوقت البكر، الذي لم يرتبط بأي فكر خاطئ، ولا بأي شـــعور سـيئ، ولا بأية علاقة مع إنسـان، أو اهتمام بشـيء ما. وإذ تذكر الله في بدء يومك، إنما يتقدس فكرك بالصـلاة، ويسـتحي من أنه ينشـغل بشـيء خاطئ. وكما كان الله يأخذ البكور من المحاصيل في العهد القديم، هو الآن يأخذ بكور وقتك بالصلاة والتأمل وقراءة الكتاب والأفكار الروحية.

عبارة "إليك أبكر" تدل على اشتياقك إلى الله.

فأنت لا تريد أن يطول نومك، ويشـــغلك عن الحديث مع الله، وإنما تســـرع إلى الاســـتيقاظ لكي تتمتع بالوجود مع الله، لكي تحيا معه ومع وصـــاياه، لأن نفسك قد عطشت إليه.

في هذا التبكير المشتاق إلى الله، تقول مع داود:

"سَبقتْ عَيْنايَ وَقت السَّحَر لأَلْهَجُ في جَميعِ أقوالِكَ" (مز ١١٩: ١٤٨).

أي سبقت عيناك وقت الفجر، لتتلو في أقوال الله.

وهكذا تعلمنا الكنيسة في بدء صلاة باكر، أن نصلي الأصحاح الأول من

الإنجيل للقديس يوحنا البشـــير "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ". وفي تأمل – في غير معناها اللاهوتي – تجعل الله الكلمة في بدء يومك.

وحسنًا اسمتها الكنيسة صلاة باكر، حاملة معنى التبكير.

ولم تطلق عليها اسم صلاة الصباح. لأن فيها يقول المصلي: "يَا اللهُ إِلَهِي أَنْتَ. إِلَيْكَ أُبَكِّرُ". ويقول أيضًا: "سبقت عيناي وقت السحر، لأتلو في جميع أقوالك".

أنا يا رب أبدأ يومي معك، وآخذك معي طول النهار. تكون معي في البيت، وفي الطريق وفي مكان عملي، وفي كل ما أعمله.

أضعك في فكري، وعلى لساني، وداخل قلبي.

وآخذ منك نعمة وروحًا ومعونة. وأعطيك قلبي ومشاعري.

كثيرون يبكرون لأجل أمور كثيرة. لأجل ميعاد العمل، لأجل ميعاد السفر، لأجل إعداد أنفســـهم لامتحان أو لدراســـة أو لمقابلة هامة... فلماذا لا يبكر الإنسان للقاء مع الله؟

وفي التبكير لله، تقول له: ليس لأي مصلحة خاصة، وإنما:

عطشت نفسي إليك

إنه اشتياق النفس إلى الله، كما تشتاق الأرض العطشانة إلى الماء. أو كما يقول في مزمور آخر: "كَمَا يَشْتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ، هكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَيْكَ يَا اللهُ. عَطِشَتْ نَفْسِي... إِلَى الإِلهِ الْحَيِّ. مَتَى أَجِيءُ وَأَتَرَاءَى قُدَّامَ اللهِ؟" (مز ٤٢: ١، ٢).

هذا العطش الذي عبر به داود عن مشاعره، لعله تعبير عما قاله المسيح في عظته على الجبل: "طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ" (مت٥: ٦). ولا يوجد برّ أعظم من الوجود مع الله والتمتع به.

العطش إلى الله يدل على أن صلاته ليست مجرد طاعة لأمر، أو تغصب لصنع فضيلة.

إنما هي مشاعر اشتياق إلى الله. إنه عطشان إلى ذلك الماء الحيّ، الذي قال عنه الله في توبيخه لليهود: "تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ، لِيَنْقُرُوا لأَنْفُسِهِمْ أَبْآرًا، أَبْآرًا مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً" (إر٢: ١٣). وهو الماء الحي الذي تحدث عنه الرب مع المرأة السامرية: وأنه "يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (يو٤: ١٤).

داود النبي عرف – وهو في العهد القديم – الارتواء من الماء الحيّ... وكأنه يقول لله في صلواته:

أنا لا أريد أن أرتوي بماء من عندك، إنما أريد أن أرتوي بك أنت. أنت مائي، وفيك ريّ نفسي. أنا أرتوي بك. أنا مشتاق إليك. أتغذى بك وأحيا بك. أنا معك مثل الشجرة المغروسة على مجاري الماء. والماء الذي ترتوي به هو أنت يا رب. من غيرك لا أستطيع أن أعيش يومًا واحدًا. فأنت ماء الحياة بالنسبة إليَّ. إن بعدت عنك، تجف نفسي وأموت. أكون كمَنْ قلت عنه إن له اسمًا أنه حيّ وهو ميت (رؤ٣: ١).

أنا متعجب من هذا الرجل داود...!

طول النهار مع الله، يقول له: "سَبْعُ مَرّاتٍ في النّهارِ سَبّحتُكَ على أحْكام

عَدلكَ" (مز١١٩: ١٦٤). هو معه عشية وباكر ووقت الظهر. وكل ذلك غير كافٍ له. فحينما يذهب لينام، يقول: "كنْتُ أذْكرُكَ عَلي فِراشِـــي" (مز٦٢: ٦). وهو لا يستمر على فراشه، وإنما يقول: "في نِصفِ الليلِ نهَضتُ لأشْكرُكَ على أحْكامِ عَدلِكَ" (مز١١٩: ٦٢). وبعد نصــف الليل يقول: "سَـبقتْ عَيْنايَ وَقت السَّـــحَر لأُلْهَجُ في جَميعِ أقوالِكَ" (مز١١٩). وبالرغم من هذا الليل المتقطع بالصـلاة يقول لله: "يا اللهُ أنت إلَهِي إليْكَ أُبكِّرُ. عَطِشَتْ إلَيكَ نَفْسِي" (مز٦٢: ١).

حقًا أنا طول الليل في حضنك الإلهي. شمالك تحت رأسي، ويمينك تعانقني (نش٢: ٦). ومع ذلك لا بُدَّ أن أصـحو مبكرًا، لأن نفسـي قد عطشـت إليك. وهو وقد جرّب محبة الله والحياة معه، يدعو الناس إلى مشـــاركته في ذلك، فيقول لهم:

"ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ!" (مز٣٤: ٨).

وإن ذقتم محبة الله، ســوف تحبونه، وتشــتعل نار محبته في قلوبكم. ومن شــدة هذه الحرارة تشــعرون بالعطش، وبالحاجة إلى الماء ليرويكم. وهذا الماء هو الله نفسه...

إننا لا نصـــلي مثل داود، لأننا لا نحب الله مثلما كان داود يحبه. حقًا إننا نعيش في نعم العهد الجديد، ولكن ليست لنا محبة داود لله وقد كان يعيش في العهد القديم. إننا لم نصـــل إلى مســـتوى قلب داود، الذي كان قيثارة للروح القدس.

كان يحسـن العزف على العود (١صـم١٦: ١٦). وهو نفسـه كان العود

الذي يعزف عليه الروح القدس ألحانًا في محبة الله.

لقد كان يعيش في العهد القديم بروح العهد الجديد. كان صـــلاته إلى الله متعة روحية له، ورائحة سـرور للرب كدخان المحرقة (لا١: ٩). كان صـلاته شوقًا إلى الله، وحبًا، وعطشًا إلى الله....

كل عبارة "أنا عطشـان" التي قالها السـيد المسـيح على الصـليب، كانت – بالإضـافة إلى معناها الجسـدي الحرفي – تمثل معنى الاشـتياق إلى الارتواء بعبارة "قَدْ أُكْمِلَ" (يو١٩: ٣٠) التي بها ارتوى "ابن الإنســان" بتكميل رســالته في الفداء وطاعته للآب حتى الموت...؟!

طبعًا كان الســيد المســيح في حالة ارتواء دائم مع الآب. ولكننا نتكلم هنا عن الحب في عمل مشــيئته، ونقل محبته إلى الناس (يو٣: ١٦). يقول داود عن سـبب عطشـه إلى الله: "لِكَيْ يُزْهِرَ لَكَ جَسَـدِي، فِي أَرْضٍ مُقْفِرَةٍ وَمَوْضِـعٍ غَيْرِ مَسْلُوكٍ وَمَكَانٍ بِلَا مَاءٍ" (مز٦٢: ١).

يزهر لك جسدي

"لِكَيْ يُزْهِرَ لَكَ جَسَدِي". لأن الجسد ليس شرًا، كما يرى البعض الذين يرون الخير كله في الروح. فالرســول يقول: "مَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَــادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ للهِ" (١كو٦: ٢٠).

إن الجسـد ليس شـرًا، فالله قد خلقه. والله لا يخلق شـرًا. والجسـد ليس شـرًا، وإلا ما كان السيد المسيح قد اتخذ له جسدًا واتحد به.

الجســد إذًا يمكن أن يزهر للرب، حينما يســير مع الروح في اتجاه واحد،

ويخضع للروح التي تخضع لله.

يمكن أن يشترك الجسد مع الروح في عبادة الله. يقف في وقار أمام الله في الصلاة، ويرفع يديه في الصلاة، حسبما يقول داود في نفس هذا المزمور: "باسْمِكَ أَرْفَع يَدِي. فتَشْبعُ نَفْسِي كَما مِنْ شَحْمٍ ودَسَمٍ" (مز٦٣: ٤، ٥). أو يركع الجسد في صلاته ويسجد، ويقول مع داود: "لَصقتْ بالترابِ نَفْسي" (مز١١٩: ٢٥)، أو يتعب الجسد من عمل الخير.

"يُزْهِرَ لَكَ جَسَدِي"، أي يبدأ في الثمر.

الذين يعملون في الزراعة، يعرفون أن الثمرة تبدأ حينما تزهر الشجرة، ثم يعقد الزهر، فيكون بداءة الثمرة. والشجرة الجيدة هي التي تصنع ثمرًا.

كذلك فالزهر له رائحة زكية، ومنه يصنع النحل شهدًا.

هكذا إذًا عبارة يُزهر جسدي، تعني الثمر الذي لله، كما تعني الرائحة الزكية، التي يتنسّم منها الله "رَائِحَةَ الرِّضَا" (تك٨: ٢١).

يُزْهِرَ لَكَ جَسَدِي، وليس لغيرك.

لأن هناك أشخاصًا جسدهم يزهر للعالم. يهتم الواحد منهم بجمال جسده وأناقته ورشاقته ورائحته الطيبة، كل ذلك للعالم، وربما للخطية. ينظر إليه العالم فيجده جسدًا جميلًا، "كالقبور المبيضة من الخارج، وفي الداخل عظام نتنة" (مت٢٣: ٢٧).

أما داود فقال للرب: "يُزْهِرَ لَكَ جَسَدِي". من أجلك ومن أجل ملكوتك، يتعب لك جسدي بالسهر والصوم، بالعرق والدموع، بالصلاة والمطانيات،

بالتعب في الخدمة، بتحمل الآلام من أجلك.

وهكذا يكون جسدًا يزهر في العمل الروحي، ثم يثمر أيضًا.

بعض القديسين كانت أجسادهم مجرد جلد على عظم، من شدة النسك والزهد والصوم. ولكنها كانت مزهرة لله تقدم له ثمار الفضيلة، "فِي أَرْضٍ مُقْفِرَةٍ وَمَوْضِعٍ غَيْرِ مَسْلُوكٍ وَمَكَانٍ بِلَا مَاءٍ".

في أرض مقفرة

كان داود في ذلك الوقت في أرض مقفرة ومكان بلا ماء، هاربًا من شاول الملك، ومع ذلك كان مزهرًا للرب. كان كل ما يحيط به هو الخوف والضيقة والتعب والمطاردة. وكان شاول يتربص له في البرية، ويضع له كمينًا لكي يقتله. وكان داود يعرف ذلك تمامًا، كما قال ليوناثان بن شاول: "إِنَّهُ كَخَطْوَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَوْتِ" (١صم٢٠: ٣).

ومع ذلك، وهو في تلك البرية القفرة والموضع غير المسلوك والمكان الذي بلا ماء، لم يفكر في ضيقاته ومتاعبه، ولم يفكر في الموت الذي يتهدده، ولا في شاول الذي يطارده، وإنما غنى لله قائلًا: "يَا اللهُ أنت إِلَهِي، إِلَيْكَ أُبَكِّرُ... يُزْهِرَ لَكَ جَسَدِي، فِي أَرْضٍ مُقْفِرَةٍ".

في ضيقاته لم يكن يتذمر، وإنما كان يتذمر بالمزامير.

وعلى الرغم من متاعبه وضيقاته، كانت نفسه مرتفعة عالية، وكان فكره مرتبطًا بالله. وكان يسبح الله قائلًا: "شفتاي تسبحانك، لذلك أباركك في حياتي".

في هذا المكان الذي بلا ماء، لم يكن داود يشتاق إلى الماء، وإنما إلى الله. كانت حرارة الروح عنده تجعله ينسى جسده، أو لا يشعر به. أو من الناحية الروحية والرمزية، يمكن أن نأخذ هذه الكلمات بمعنى آخر فنقول:

يُزْهِرَ لَكَ جَسَدِي، فِي أَرْضٍ مُقْفِرَ، أي في حياة التجرد. وفي مَوْضِعٍ غَيْرِ مَسْلُوكٍ أي في الوحدة معك. نقول هذا في تأملنا الروحي.

بدء دعوى إبراهيم أن أخرجه الله من أهله ومن عشيرته ومن بيت أبيه، إلى الجبل الذي أراه إياه (تك١٢: ١، ٢) إلى موضع غير مسلوك من جهة تلك البيئة. كذلك كلّم الله موسى وحده على الجبل، في موضع غير مسلوك وفي أرض مقفرة ومكان بلا ماء. وفي موضع قفر غير مسلوك كلّم الرب إيليا النبي، وهو هارب من إيزابل (١مل١٩).

وفي المزمور الأول يريدنا الله أن نعيش معه في موضع غير مسلوك من الخطاة والمنافقين ومجالس المستهزئين.

إن عمق العلاقة بالله يناسبها الخلوة، أي الموضع غير المسلوك.

بعيدًا عن ضجيج المجتمع ومشاكله... وهذا ما نريد أن ندرب أنفسنا عليه، حسبما نستطيع. أما آباؤنا القديسون فعاشوا في ذلك طول حياتهم.

وعبارة "مَكَانٍ بِلَا مَاءٍ" ترمز إلى حياة النسك والزهد، بعكس الغني الذي عاصر لعازر المسكين، بالرفاهية فاستوفى خيراته على الأرض (لو١٦).

عبارة مَوْضِعٍ غَيْرِ مَسْلُوكٍ، قد ترمز أيضًا إلى القلب النقي والعقل النقي. الذي لم تسلك فيه أفكار العدو، وشهوات العالم. لم تعبر فيه فكرة خاطئة

ولا شـهوة شـريرة. أما الذين يتجاذبون مع الأفكار والشـهوات، فيقول عنهم مار إسحاق:

"يكونون كمَنْ هم في سوق، يبيعون ويشترون".

أما صاحب القلب النقي، فيقول للرب: أنا أسبحك من قلب هو موضع غير مسلوك لا يقبل أية فكرة أو شهوة تعرض عليه.

هي ذي العينُ لقد أغمضـــتها عن رؤى الأشـــياءِ علّي أن أراك
وكـذا الأذنُ لـقـد أخـلـيـتـهـا من حديثِ الناسِ حتى أســـمعك

وعن هذا المعنى قيل في النشيد بأسلوب رمزي "أُخْتِي الْعَرُوسُ جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ، عَيْنٌ مُقْفَلَةٌ، يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ" (نش٤: ١٢).

عبارة مَوْضِعٍ غَيْرِ مَسْلُوكٍ، قد تعني أيضًا أنه مخصص للرب.

ولأضرب لذلك مثلًا فأقول: إذا اشترى أحد أرضًا، وتركها بدون أسوار، قد تدوسها أقدام كثيرة، ويسلك فيها كثيرون. أما إذا أحاطها بسور، وجعل لها بابًا وأغلقه، تصير هذه الأرض مصانة، وتصبح موضعًا غير مسلوك، ويحترم الناس ملكيته لها.

هكذا يكون قلبك إن كان ملكًا، لا يصبح أرضًا مداسة من الغير، ولا يدوسها ذلك الذي هوايته "الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ... التَّمَشِّي فِيهَا" (أي١: ٧).

هَكَذا ظَهَرَتْ لَكَ في القُدسِ، لأرَي قُوَّتكَ ومَجْدكَ. لأنَّ رحْمتَكَ أفْضَـــلُ مِنَ الحَياةِ.

من عطشـي إليك، ذهبت إلى أقداسـك، وظهرت لك. لأن هناك أرى قوتك

ومجدك. وأشعر أنني في حمى إله قوي ممجد.. وفي حمى رحمته...

الاعتماد على رحمته أفضل من الاعتماد على هذه الحياة التي أحياها.

من أجل هذا تتعلق نفسي بك وأسبحك.

شفتاي تسبحانك. لذلك أباركك في حياتي.

باسمك أرفع يدي فتشبع نفسي

† أرفع يدي في الصلاة، مثال الصليب... والصليب يخيف الشياطين. كما أن الأيدي المرفوعة بعيدة عن الأرض والماديات.

† ورفع اليدين طقس من طقوس الصلاة:

يقول المرتل في المزمور: "في اللَّيالي. ارْفَعوا أَيْديَكُم إِلَى القُدسِ، وبارِكوا الرَّبَّ" (مز ١٣٤: ٢). ويقول القديس بولس الرسول: "أريد أن الرجال يصلون رافعين أيدي طاهرة" (١تي٢: ٨).

† وأثناء الحرب من عماليق، كان موسى النبي يرفع يديه في الصلاة، فينتصر جيش يشوع. ولما ثقلت يداه، قام هارون وحور بدعم يديه لكي يستمر الانتصار (خر١٧: ١١- ١٣).

† ورفع اليدين وهما مفتوحتان، هو اعتراف بالاحتياج، لكي يملأها الله من خيراته. كما أن ذلك دليل على الاتضاع.

****

هناك أشخاص يصلون في ملل، أما داود فيقول:

"باسْمِكَ أَرْفَع يَدِي. فتَشْبعُ نَفْسِي كَما مِنْ شَحْمٍ ودَسَمٍ".

إنه شبع روحي، شبع بالرب، يشعر به داود حالما يرفع يديه في الصلاة. وهذا دليل على أنه يصلي من عمق قلبه وبكل مشاعره، وليس بمجرد ألفاظ تخرج من فمه.

يشبه شبعه ليس بمَنْ يشبع من خبز، بل من شحم ودسم. وكان ذلك من أفضل المأكولات التي تشبع. وكان شحم الذبائح في العهد القديم يقدم على مذبح المحرقة (لا٤: ٨- ١٠) إشارة إلى أنه مقدم لله لنيل رضاه كرائحة سرور للرب (لا١: ٩، ١٣، ١٧).

وهو يشير إلى الوليمة السمائية.

شفتاي تسبحانك لذلك أباركك في حياتي

لو أن داود سبّح الرب في انتصاره، لكان ذلك أمرًا عاديًا.. أما أن يسبحه في الضيقة، في الأرض القفرة، وفي موضع غير مسلوك، وهو هارب من شاول، والموت يطارده... فهذا يدل على أن داود كان هدفه هو الله وحده. ولم يكن هدفه هو راحته الشخصية، أو التخلص من التجارب...

لقد سبّح الله، لأنه لم يركز مشاعره في الضيقة، وإنما في قوة الله ومجده. إذ يقول له:

هكذا ظهرت لك في القدس، لأرى قوتك ومجدك.

حسن هذا، أنه في ضيقته، يظهر أمام الله، ليرى قوته التي فيها يتمجد الله أيضًا. وبعد ذلك يقول له: "شفتاي تسبحانك...".

عملي هو أن أسبحك...

لأنك وهبتني هذه النعمة، أن أسبحك...

وهبتني هذا القلب الشاكر لك، الذي يشكرك على كل حال، ومن أجل كل حال، وفي كل حال... أشكرك عندما أنتصر على جليات، وأشكرك وأنا هارب من شاول، وخائف منه، ومطرود ومطارد ومرذول أسبحك في الحالتين كلتيهما، لأن تسبحتك هي عملي في الحياة...

لذلك أباركك في حياتي.

أباركك طول أيام حياتي... أي أسبحك طول الحياة...

في مزمور آخر يقول: "ها بارِكوا الرَّبَّ يا عَبيدَ الرَّبِّ القائِمينَ في بَيْتِ الرَّبِّ في دِيارِ إلَهِنا" (مز ١٣٤: ١). ويقول في (مز ٨٤: ٤) "طوبَى لِكلِّ السُّكانِ في بَيْتِكَ، يُبارِكونَكَ إلَى الأبَدِ"... أما هنا، فإنه يبارك الرب في موضع غير مسلوك، بل يباركه طول حياته...

ليتنا نفعل مثله، نسبح الرب كل حياتنا، سواء كنا قائمين في بيت الرب في ديار إلهنا، أو كنا في متاهة، في مكان بلا ماء، وموضع غير مسلوك.

أذكرك على فراشي

يتابع داود تسبيحه للرب فيقول:

كنْتُ أذْكرُكَ عَلي فِراشِى. وفي أوْقاتِ الأسْحَارِ كُنتُ أرتِّل لَكَ:

كما أذكرك في النهار، كذلك أذكرك في الليل، على فراشي، أي في كل

وقت. إنه بهذا يعطينا فكرة عن الصلاة الدائمة، وعن الصلاة قبل النوم. بحيث أن آخر فكرة تأتينا قبل النوم، تكون في ذكر الله أيضًـــا... كما أقول: "يا اللَّهُ إِلَهِي إِلَيْكَ أُبَكِّرُ"... أقول أيضًا: "كَنْتُ أَذْكُرُكَ عَلي فِراشِي".

أي أنك يا رب في بدء يومي، وفي نهايته.

أنت "الأَوَّلُ وَالآخِرُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ" (رؤ٢٢: ١٣). بك أبدأ يومي، وبك أختمه... هكذا، يا ليت كلًا منا، حينما يصـعد على فراشـه يفتكر الله. وحينما يرقد على فراشـه في مرض أو ألم، يكون فكره في الله أيضًـا. فبهذا يحصـل على عزاء.

وحينما تذكر الله على فراشك، يتقدس فراشك.

إن الذين يصـلون صـلاة طويلة قبل النوم، إنما يقدسـون فراشـهم، وكذلك يقدسون أفكارهم قبل النوم. وبهذا تكون أحلامهم مقدسة. لأن الذي انغرس في عقلهم الباطن قبل نومهم، كان هو الله نفسه وما يتعلق به.

"أَذْكُرُكَ عَلي فِراشِي"، تعني أيضًا في وقت راحتي.

فوقت راحتي لا يُعطى للجسـد فقط، بل للروح أيضًـا، إذ تجد راحتها فيك. حينما أتأمل فيك يا رب، وحينما أذكرك على فراشـــي، أجد فيك راحتي. أجد راحة لقلبي، وراحة لفكري، وراحة لروحي... ليس فقط في الليل قبل النوم، إنما أيضًا:

"في أَوْقاتِ الأَسْحَارِ كُنتُ أَرتِّل لَكَ"

أي وقت الفجر.. يقوم ليرتل للرب.

إنه يقدم لنا مثالًا، كيف تتحول الحياة كلها إلى صلاة... فعلى فراشه في الليل يذكر الله. وفي نصف الليل ينهض ليشكره على أحكام عدله. وتسبق عيناه وقت السحر ليتلو في جميع أقواله (مز ١١٩). وأيضًا في أوقات الأسحار يرتل له. ومع كل ذلك يقول له: "يا اللَّهُ إِلَهِي إِلَيْكَ أُبَكِّرُ. عَطِشَتْ إِلَيكَ نَفْسِي"...

هكذا كان الآباء يقطعون الليل بالصلاة...

فلا يمر الليل بطوله، وهو في غفوة أو نعاس بعيدًا عن مناجاة الله... ولهذا نرى أن كنيستنا تقسم صلاة نصف الليل إلى ثلاث هجعات. أي ينام جزءًا من الليل، ثم يصحو ليصلي، ثم ينام ويصحو ليصلي، وهكذا. وليس هذا النظام للرهبان وحدهم، وإنما للعلمانيين أيضًا. وداود لم يكن راهبًا، بل كان متزوجًا وله أسرة كبيرة. **وصلوات النهار أيضًا بالمثل.**

رتبتها الكنيسة بحيث لا تمر ثلاث ساعات على الإنسان، إلا ويرفع قلبه بالصلاة. من صلوات باكر إلى الثالثة، فالسادسة، فالتاسعة، فالغروب... وهكذا كان داود الذي قال للرب: "سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي النَّهَارِ سَبَّحْتُكَ عَلَى أَحْكَامِ عَدْلِكَ" (مز ١١٩: ١٦٤). كل ذلك من محبته لله، إذ يقول له: "عَطِشَتْ إِلَيكَ نَفْسِي". وأيضًا عرفانًا بجميل الله، الذي كان دائمًا يعينه ويحميه. فإذ يسبح الله، يقول له:

لأنك صرت لي عونًا وبظل جناحيك أبتهج

عجيب داود هذا، في مشاعره نحو الله. يتغنى بعون الله له، ويبتهج بظل

جناحيه، بينما هو مطارد من شـــاول، ومهدد بالموت، في برية قفرة! لو كان واحد منا في مثل ظروفه لاعتبر حالته تخليًا من الله عنه وليس عونًا له... أما داود النبي، فهو عينة مرتفعة وسامية.

إنه يذكر إحسانات الله، حتى في وسط متاعبه.

وكأنه يقول: أنا يا رب – مهما يحدث لي – لسـت أنسـى عونك لي، كيف اخترتني من بين إخوتي، وأنا أصـغرهم، ومسـحتني ملكًا بيد نبيك صـموئيل، ورضـيت أن روحك القدوس يحل عليَّ (١صـم١٦) ... وكنت لي عونًا، حينما هجم أسد ودب على شاة من غنمي، وأعطيتني القوة لكي أنتصر عليهما وأنقذ الشاة منهما. وكنت لي عونًا في وقوفي ضد جليات الجبار، ومنحتني انتصارًا مذهلًا عليه (١صـم١٧). وكنت لي عونًا، حينما حققت لي نصـرًا على مائتين من الأعداء دفعت به مهر ميكال (١صـم١٨).

لذلك أنا بظل جناحيك أبتهج، ليس فقط من جهة الماضـــي، بل أبتهج في ضيقتي الحالية.

حتى في ضيقتي لم تتركني. شاول يطاردني، وأنا هارب منه. وأنت صرت لي عونًا، فمكنتني من الهرب. ولو تخليت عني يومًا واحدًا، لاسـتطاع شـاول بكل قوته وجنوده أن يقتلني... لذلك أنا بظل جناحيك أبتهج.

وهذا التشـــبيه يذكرنا بالدجاجة التي تظلل على فراخها بجناحيها. كما قال السـيد المسـيح لأورشـليم: "كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!" (مت٢٣: ٣٧) ... وهكذا الدجاجة تحمي أبنـاءها بجنـاحيهـا. وإذا هجم على فراخهـا أي عـدو، فـإن هـذه الفراخ تزداد

التصاقًا بجناحي الأم، وبظل جناحيها تبتهج.

ما أكثر استخدام داود النبي لتعبير (تحت جناحيك) أو (ظل جناحيك).

ففي (مزمور٥٧: ١) يقول: "ارْحَمْني يا اللَّهُ ارْحَمْني، فإنَّهُ عَلَيْكَ تَوَكَّلَتْ نَفْسي. وبظِلِّ جَناحَيْك أعْتَصِمُ، إلَى أنْ يَعْبُرَ الإثمُ".

وفي مزمور "اَلسَّاكِنُ فِي سِتْرِ الْعَلِيِّ" يقول: "في وَسَطِ مَنْكبيْهِ يُظلِّلُكَ، وتَحْتَ جَناحَيهِ تَعْتَصِمُ" وفي ترجمة أخرى "وَتَحْتَ أَجْنِحَتِهِ تَحْتَمِي" (مز٩١: ٤).

يقول أيضًا: "مَا أَكْرَمَ رَحْمَتَكَ يَا اَللهُ. فَبَنُو الْبَشَرِ فِي ظِلِّ جَنَاحَيْكَ يَحْتَمُونَ" (مز٣٦: ٧). وفي مزمور آخر "احفظني مثل حدقة العين. بظل جناحيك استرني" (مز١٧: ٨).

إنه تشبيه يستريح له الابن، الذي يجد حمايته تحت جناحي الأبوة أو الأمومة. فليكن الله أباك. أما أمك فهي الكنيسة.

غير أننا نورد هنا ملاحظة هامة وهي:

صغار الفراخ هي التي تحتمي تحت جناحي أمها..

فلا تظن نفسك أنك قد كبرت، وتخرج من تحت الأجنحة التي تحميك. وإنما عليك أن ترجع وتصير مثل الأطفال، وتقول للرب: "وبظِلِّ جَناحَيْك أعْتَصِمُ، إلَى أنْ يَعْبُرَ الإثمُ" (مز ٥٦: ١).

ليس فقط تحتمي تحت جناحي الله، وإنما تسبحه في شكر قائلًا:

"بِظِلِّ جَنَاحَيكَ أَبْتَهِجُ"...

يتابع داود تسبحته في ضيقاته فيقول:

التحقت نفسي وراءك، ويمينك عضدتني.

التحقت نفسي وراءك، أي جرت وراءك. تبعتك حيث سرت... إنني لا أتبع مشيئتي الخاصة، ولا ما أدعيه لنفسي من حكمة. إنما أنا أسعى وراءك، وأتبع مشيئتك وحكمتك الإلهية.

أما عن أعدائي، فإنك ستتكفل بهم وتريحني منهم، وهكذا يقول عنهم داود النبي:

أما الذين طلبوا نفسي للهلاك...

ما دامت يمينك عضدتني، فإن الذين طلبوا نفسي ليهلكوها فإنهم "يدخلون في أسافل الأرض، ويُدفعون إلى يد السيف، ويكونون أنصبة للثعالب"...

بالإيمان، هؤلاء لن يقدروا عليَّ، لأنني في يمين الله. وشعرة واحدة من رأسي، لن تسقط بدون إذنه. (لو٢١: ١٨)، لأنه "قد نقشني على كفه" (إش٤٩: ١٦). لذلك فهؤلاء الذين طلبوا نفسي، سيدخلون إلى أسافل الأرض، إلى الجحيم، مثل قورح وداثان وأبيرام الذين "فَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلَعَتْهُمْ" (عد١٦: ٣٢).

لم يقل داود هذا حقدًا عليهم، إنما باعتباره نبيًا قد تنبأ عن آخرة هؤلاء الأعداء.

قال هذا عن طريق الوحي. كما قال الرب عنه إنه: "قال بالروح" (مت٢٢: ٤٣) ... وفعلًا قد هلك كل أعداء داود. ومات في الحرب الملك شاول الذي

كان يضطهده... (١صم٣١) وعلى الرغم من ذلك بكاه داود ومزق ثيابه عليه، وصام هو والذين معه حتى المساء (٢صم١: ١١، ١٢) ورثاه بمرثية مؤثرة (٢صم١: ١٩- ٢٧).

ولكن في صلاتك أنت، ليكن لك معنى آخر.

فعندما تقول: "أما الذين يطلبون نفسي للهلاك"، ضع في ذهنك أنهم الشياطين، ولا تفكر في أحد من البشر، لئلا تطلب الشر لغيرك. والشياطين فعلًا يدخلون في أسافل الأرض، ويدفعون إلى يد السيف، بمعنى الهلاك الأبدي لهم.

يتابع داود النبي مزموره فيقول:

أما الملك فيفرح بالله ويفتخر كل من يحلف به

هنا لا ينسى داود أنه قد مُسح ملكًا (١صم١٦). وفي الرجاء بتحقيق وعد الله، يرى أنه سيفرح بالرب. ولا شك أن الرجاء يجلب الفرح، كما قال الرسول "فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ" (رو١٢: ١٢).

ولم يقل هنا أنه يفرح بهلاك أعدائه، إنما يفرح بالله.

وبالنسبة لنا نعتبر أنفسنا شركاء في ملكوت الله، وكل مَنْ يملك نفسه، هو ملك يفرح بالله، بالمعنى الروحي. وهكذا كل بني الملكوت، الذين يفتخرون بأنهم مؤمنون بالله "يحلف باسمه". وكان القسم بالله في العهد القديم يميز المؤمنين بالله عن عابدي الآلهة الأخرى.

لأن أفواه المتكلمين بالظلم تسد.

هؤلاء الذين ظلموا داود، وتكلموا ضـــده ظلمًا، قد ســدّ الله أفواههم. ســواء شاول الملك، أو شمعي بن جيرا (٢صم١٦: ٥- ٨).

فإن فتح أحد فاه ضـــدك بكلمات ظالمة، لا تحزن. لأن "الرب يحكم للمظلومين" (مز١٤٦: ٧). وأيضًا لأن "أفواه المتكلمين بالظلم تسدّ. سوف لا يحوجك الله إلى أن تنتقم لنفسك، بل هو الذي سيسد أفواههم. "أمَّا المِلِكُ فَيَفْرحُ باللهِ".

إلى متى يا رب تنساني



إلى متى يا رب تنساني...

[مز ١٢ (١٣)]

إلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسانِي؟ إلَى الإنْقِضَاءِ؟

حَتَّى مَتّى تَصْرفُ وَجْهَك عنّي؟

إلَى مَتَى أرْدُدْ هَذِهِ المشُورَاتِ في نَفْسِي، وهَذِهِ الأوْجَاعُ في قَلْبي النّهَارَ كُلَّه؟

إلَى مَتَى يَرْتفِعُ عَدوّي عَليَّ؟

أنْظُرْ واسْتَجِبْ إليَّ يَا ربّي وإلَهي.

أنَرْ عَيْنيَّ لِئلاَّ أنَامُ نَومَ الموْتِ.

لِئلاَّ يَقولَ عَدوّي إنّي قَدْ قَويتُ عَليْهِ.

الذينَ يُحْزنُونَنِي يَتهلَّلُونَ إنْ أنَا زَلَلْتُ.

أمَّا أنَا فَعَلى رَحْمتكَ توَكَّلتُ، يبْتَهجُ قَلبِي بَخَلاصِكَ.

أُسبّحُ الرَّبَّ الَمحْسِن إليَّ،

وأُرتِّل لِاسْمِ الرَّبِّ العَالِي.

هَلِّلُويَا.

إنه أحد مزامير صلاة باكر. وهو مزمور أنين وشكوى وعتاب من إنسان في ضيقة، وقد طال عليه الوقت في ضيقته.

ولذلك فإن عبارة (إلَى مَتَى؟) تكررت أربع مرات في صلاة هذا المزمور:

قال: "إلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسانِي؟ إلَى الانْقِضَاءِ؟ حَتَّى مَتَى تَصْرفُ وَجْهَك عنِّي؟ إلَى مَتَى أزْدُدْ هَذِهِ المشُورَاتِ في نَفْسِي، وهَذِهِ الأوْجَاعُ في قَلْبي النّهَارَ كُلَّه؟ إلَى مَتَى يَرْتفِعُ عَدوِّي عَليَّ؟".

هذا التكرار لم يكن تذمرًا، إنما لجاجة في الصلاة.

هو لون من الإلحاح على الرب. فمهما طالت به المدة في ضيقته، لا ييأس، وإنما يرفع قلبه إلى الله متضرعًا وقائلًا: إلَى مَتَى؟ رغبة منه في أن يتدخل الله لإنقاذه...

عبارة (إلى متى) تظهر لنا أن أوقات الألم تبدو طويلة.

أي أن الإنسان يشعر بطولها أكثر من أوقات الفرح... إن ساعة واحدة في ألم شديد من مرض قاس، تبدو أطول من ساعات أو أيام في المتعة والبهجة. دائمًا لحظات الحزن والوجع والألم تبدو طويلة، وأيام الفرح تبدو قصيرة... إن يعقوب أبا الآباء خدم من أجل راحيل ١٤ سنة "وَكَانَتْ فِي عَيْنَيْهِ كَأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ بِسَبَبِ مَحَبَّتِهِ لَهَا" (تك٢٩: ٢٠). حقًا إن الوقت يسرع في الأفراح ويبطئ في الأحزان.

داود هنا يعاتب الله: لماذا تقف ساكتًا في ضيقتي؟ "أسْرعْ وأعِنِّي" (مز ٧٠: ١).

حتى متى لا تتدخل؟ "لِمَاذَا تَقِفُ بَعِيدًا؟ لِمَاذَا تَخْتَفِي فِي أَزْمِنَةِ الضِّـــيقِ؟!" (مز ١٠: ١) ... قم أيها الرب، وليتبدد جميع أعدائك، وليهرب من قدام وجهك كل مبغضـي اسمك القدوس (مز ٦٨: ١) حتى متى يضـطهدني شـاول الملك كل هذا الاضـطهاد، وأنت ترى وتسـكت؟! ربما لأن سـاعته لم تأت بعد. هذا حق، ولكن أنا قد تعبت...

هنا وأقول: إن طالت عليك أوقات الألم، فكّر في ســـببها. ربما يكون داخلك!

ربما طالت الأيام بسبب عدم صبرك، أو عدم احتمالك! قد يشعر الإنسان بطول فترة الضيقة، إذا لم يستطع القلب أن يصرفها من الداخل... إذا كان في القلب شيء من الضجر أو التذمر أو عدم الصبر، أو عدم الإيمان بأن الرب سيخلصه وينجيه. وهكذا يفقد الرجاء أيضًا، فيتعب.

إن حلّت بك الضيقة، لا تركز أفكارك في الضيقة ومتاعبها، وإنما في الله الذي سوف ينجيك منها...

لا تتأمل في الضيقة: كيف هي؟ كيف جاءت؟ إلى متى تستمر. إنما تأمل في الله المحب الشـــفوق الذي نجاك قبلًا من ضـــيقات أخرى، ونجى كثيرين أيضًـــا. وترنّم بقول المزمور: "إِذَا سِـرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لاَ أَخَافُ شَـرًّا، لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي" (مز ٢٣: ٤). ورتّل أيضًـــا عبارات مماثلة في مزامير أخرى تعطي نفس الرجاء ونفس العزاء. أُذكر قول موسى النبي للشعب يوم يئس أمام البحر الأحمر:

"قِفُوا وَانْظُرُوا خَلاَصَ الرَّبِّ... الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْـــمُتُونَ" (خر ١٤:

١٣، ١٤).

إنك لو فكرت في الأحزان المحيطة بك، ســـوف تتعب. لذلك اتركها تمر عابرة، دون أن تدخل إلى قلبك وتستقر فيه. انشغل عنها بالتفكير في شيء آخر. فكّر في إحسانات الله، وفي وعوده، وفي أعمال محبته. وفي كل ضيقة تمر بك، قل لنفسك هذه العبارات:

مصيرها تنتهي. كلّه للخير. ربنا موجود...

أما داود فقد تعب، لأنه فكّر في مطاردة شـــاول له، محاولًا أن يقتله. وقد عبَّر داود عن مخاوفه هذه في عبارة واضحة وردت في (١صم٢٧: ١) "وَقَالَ دَاوُدُ فِي قَلْبِهِ: إِنِّي سَأَهْلِكُ يَوْمًا بِيَدِ شَاوُلَ".

أي لا فائدة! إن هربت منه اليوم، قد لا أهرب غدًا، وسيدركني...!

التفكير في الضـــيقة، قد يؤدي إلى التفكير في تطورات لها أصـــعب وأصعب...

ويزداد الأمر خطورة في نظره، وقد لا يقف عند حد، ويتصور مخاوف ربما لا وجود لها. ويصاب بما يسميه القديسون "صغر نفس". وهنا يفقد الرجاء. وينســى وعود الله، ويفقد الأمل في تدخله لإنقاذه! وهكذا يدركه الخوف والحزن والقلق.

ولكننا سنرى أن داود لم تصغر نفسه في الضيقة، كما سنرى في هذا المزمور، الذي هو من أعجب المزامير:

إنه مزمور يبدأ بالأنين والشـــكوى والصـــراخ. وينتهي بالشـــكر والفرح

والتهليل والتسبيح.

فيما داود كان يشكو، كان يرى خلاصه أثناء شكواه. كان يرى الضيقة، ومعها يرى أيضًا المنفذ، في إيمان وفي رجاء. فبينما يبدأ مزمور بعبارة "إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسانِي؟ إِلَى الإِنْقِضَاءِ؟ ... نراه يختم المزمور بقوله:

"الذينَ يُحْزِنُونَنِي يَتهلَّلُونَ إِنْ أَنَا زَلَلْتُ. أَمَّا أَنَا فَعَلى رَحْمتكَ توَكَّلتُ، يبْتَهجُ قَلبِي بَخَلاصِكَ. أُسبِّحُ الرَّبَّ الَمحْسِن إِليَّ، وأُرتِّل لِاسْمِ الرَّبِّ العَالِي. هَلِّلُويَا".

لم ينتظر ليشكر في مزمور آخر، إنما شكر مع نفس الشكوى!

وهذا هو أسلوب داود في كثير من مزاميره التي يشرح فيها متاعبه. يبدؤها بذكر المتاعب، ولكن يختمها بعمل الله معه، فكل المتاعب عنده مخلوطة بالرجاء. وفي كل صلواته، يعرض على الله مشاكله، وفي نفس الصلاة يرى الحلول الإلهية. وقد يسكب أمام الله دموعه ويرى يد الله في حب تمسح هذه الدموع، فيشكر ويسبّح...

ومع ذلك، فلا مانع من أن يعاتب الله. والله يقبل...

وما أكثر ذلك في مزاميره. فيقول له في المزمور العاشر: "يَا رَبُّ، لِمَاذَا تَقِفُ بَعِيدًا؟ لِمَاذَا تَخْتَفِي فِي أَزْمِنَةِ الضِّيقِ؟ فِي كِبْرِيَاءِ الشِّرِّيرِ يَحْتَرِقُ الْمِسْكِينُ؟" ... الله ليس بعيدًا. ولكن لماذا أشعر أنك قد وقفت بعيدًا؟!".

ويقول في (مز ٤٢: ٩، ١٠) "أَقُولُ للهِ صَخْرَتِي: «لِمَاذَا نَسِيتَنِي؟ لِمَاذَا أَذْهَبُ حَزِينًا مِنْ مُضَايَقَةِ الْعَدُوِّ؟!... عَيَّرَنِي مُضَايِقِيَّ، بِقَوْلِهِمْ لِي كُلَّ يَوْمٍ: أَيْنَ إِلهُكَ؟"!! إنه كلام مؤثر حقًا أن يعيره أعداؤه بأن الله لا يعمل لأجله، وهو في

خجل من أقوالهم وتعييرهم...

ويقول في (مز ٤٤: ٢٤- ٢٦) ... "لِمَاذَا تَحْجُبُ وَجْهَكَ وَتَنْسَى مَذَلَّتَنَا وَضِيقَنَا؟ لأَنَّ أَنْفُسَنَا مُنْحَنِيَةٌ إِلَى التُّرَابِ. قُمْ عَوْنًا لَنَا وَافْدِنَا مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ".

ويقول في (مز ٧٤: ١٩) "لاَ تُسَلِّمْ لِلْوَحْشِ نَفْسَ يَمَامَتِكَ. قَطِيعَ بَائِسِيكَ لاَ تَنْسَ إِلَى الأَبَدِ" أي لا تنس هؤلاء البائسين الذين يطلبونك... لهذا يرد الرب هكذا "مِنْ أَجْل شَقَاءِ المسَاكِين وتَنهُّدِ البَائِسِينَ الآنَ أَقُومُ... أَصْنَعُ الْخَلاصَ عَلاَنِيةً" (مز ١٢: ٥).

وهكذا يقول له المرتل في المزمور: "قُمْ يَا اَللهُ. أَقِمْ دَعْوَاكَ. اذْكُرْ تَعْيِيرَ الْجَاهِلِ إِيَّاكَ الْيَوْمَ كُلَّهُ. لاَ تَنْسَ صَوْتَ أَضْدَادِكَ، ضَجِيجَ مُقَاوِمِيكَ" (مز ٧٤: ٢٢، ٢٣). لا تنس يا رب ما نقاسيه. ضع قضيتنا أمام عينيك.

وعلى الرغم من كل العتاب، داود يعرف تمامًا أن الله لا ينسَ عبيده، وبخاصة المحتاجين إليه.

إنه يقول في (مز ٩: ١٢) "ذَكَرَهُمْ. لَمْ يَنْسَ صُرَاخَ الْمَسَاكِينِ". ويقول أيضًا في نفس المزمور: "لأَنَّهُ لاَ يُنْسَى الْمِسْكِينُ إِلَى الأَبَدِ" (مز ٩: ١٨).

وإشعياء النبي يقول كلامًا معزيًا في هذه النقطة: "قَالَتْ صِهْيَوْنُ: قَدْ تَرَكَنِي الرَّبُّ، وَسَيِّدِي نَسِيَنِي! هَلْ تَنْسَى الْمَرْأَةُ رَضِيعَهَا فَلاَ تَرْحَمَ ابْنَ بَطْنِهَا؟ حَتَّى هؤُلاَءِ يَنْسَيْنَ، وَأَنَا لاَ أَنْسَاكِ. هُوَذَا عَلَى كَفَّيَّ نَقَشْتُكِ" (إش٤٩: ١٤- ١٦). ويقول الرب في الإنجيل:

"أَلَيْسَتْ خَمْسَةُ عَصَافِيرَ تُبَاعُ بِفَلْسَيْنِ، وَوَاحِدٌ مِنْهَا لَيْسَ مَنْسِيًّا أَمَامَ اللهِ؟"

(لو١٢: ٦).

ويقول بعدها: "لاَ تَخَافُوا! أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ!". ويقول أيضًا: "بَلْ شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ أَيْضًا جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ" (لو١٢: ٧).

لماذا إذًا يقول داود: "إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسانِي؟ إِلَى الانْقِضَاءِ؟" وفي إحدى الترجمات "تَنْسَانِي كُلَّ النِّسْيَانِ!" ولماذا يقول: "إِلَى مَتَى تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي!" ولكن هل حقًا يحجب الله وجهه عنا؟

هناك حقًا فترات من التخلي المؤقت للنعمة.

إما بسبب عقوبة مؤقتة، أو ليشعر الإنسان بضعفه فلا يقع في الكبرياء، أو بحكمة معينة من التدبير الإلهي لفائدة الإنسان، أو هو نوع من التخلي الشكلي، وفيه يراقب الله الإنسان وينقذه وقت اللزوم.

كالنسر الذي يحمل فراخه على جناحيه، ويلقيها في الجو لتتعلم الطيران.

فإذا تعب واحد منها، يلحقه بسرعة ويحمله على جناحه.

أو كأب يعلم ابنه العوم، فيحمله على ذراعيه ويدربه. ثم يخلي ذراعيه عنه ليعوم بنفسه. فإن لحقه خطر، يسرع إليه ويتلقاه مرة أخرى على ذراعيه. أو مثل أم تترك ابنها على الأرض ليتعلم المشي. وإن حملته طول الوقت على كتفها لا تشتد أعصابه، ويصاب بلين العظام. هكذا الله يدرب أولاده... ويقول في سفر إشعياء: "لُحَيْظَةً تَرَكْتُكِ، وَبِمَرَاحِمَ عَظِيمَةٍ سَأَجْمَعُكِ" "حَجَبْتُ وَجْهِي عَنْكِ لَحْظَةً، وَبِإِحْسَانٍ أَبَدِيٍّ أَرْحَمُكِ" (إش٥٤: ٧، ٨).

أحيانًا يحجب الله وجهه عن إنسان بسبب خطاياه.

وبخاصة الذين يعبدون الله وأيديهم ملطخة بالدماء، وقلوبهم مليئة بالقسوة، كالذين قال لهم في سفر إشعياء: "حِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ، وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصَّلاَةَ لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا" (إش١: ١٥).

فإن قال أحد من هؤلاء: إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسَانِي؟ يقول له الرب: "هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ" (إش١: ١٨). ابحث ربما أنت الذي بعدت. ولهؤلاء يقول الرب: **"ارْجِعُوا إِلَيَّ أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ" (ملا٣: ٧).**

أنا أريد أن أصالحكم، لم يحدث أنني تركتكم، بل أنتم الذين تركتموني. وكنت معكم، وأنتم لا تشعرون بذلك. وعن هذا قال القديس أغسطينوس في اعترافاته: "كنت يا رب معي. ولكنني من فرط شقوتي لم أكن معك".

عندما أخطأ آدم، هرب من الله واختبأ وراء الشجر.

فمن الذي حجب وجهه عن الآخر: آدم أم الله؟!

آدم هو الذي اختبأ، ولم يعد يرى الله، بينما كان الله يسعى إليه! دائمًا الإنسان الخاطئ هو الذي يبتعد عن الله.

أتذكر أنني في أيام سنة ١٩٦٠م كنت أتمشى في الجبل وقت الغروب، ورأيت الشمس تختفي عند الأفق، فقلت لنفسي: "لم يحدث أن الشمس أخفت وجهها عن الأرض. إنما الأرض هي التي أدارت ظهرها للشمس". هذه العبارة صحيحة جغرافيًا، ولكنها تنطبق علينا روحيًا. فعندما تصلي بمزمور داود: "إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسَانِي" "إِلَى مَتَى تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي؟"، قل له:

بل أنا يا رب الذي أنساك، وأنا الذي أحجب وجهي!

يعود داود في شكواه في هذا المزمور فيقول:

"إِلَى مَتَى أَرْدُدْ هَذِهِ المشُـورَاتِ في نَفْسِـى، وهَذِهِ الأَوْجَاعُ في قَلْبي النّهَارَ كُلَّه؟"

وفي ترجمة أخرى "إلى متى أكوّم هذه الهموم في نفسي..." يقول هذا إنسان يكوّم الهموم في نفسه، دون أن يطرحها على الله! يصارع مع الأوجاع وحده، ولا يطلب معونته من ذلك المحب القوي الذي يقول على الدوام:

"تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (مت١١: ٢٨).

لذلك في كل ضيقاتك لا تعتمد على نفسك، ولا تعتمد على الناس، ولا تستمر في صراعك مع الأوجاع في قلبك النهار كله. بل "أَلْقِ عَلَى الرَّبِّ هَمَّكَ فَهُوَ يَعُولُكَ" (مز٥٥: ٢٢). سواء كانت متاعبك ضيقات مادية، أو اضطهادات من الناس، أو شهوات وخطايا...

يقول داود بعد ذلك في المزمور:

"إِلَى مَتَى يَرْتَفِعُ عَدُوِّي عَلَيَّ؟".

يقول المصلي هذه العبارة، سواء عن أعدائه من البشر، أو عن الحروب الروحية التي يسقط فيها. فالعدو الذي يرتفع عليَّ هنا هو الشيطان. ولكنه ليس مطلق السلطة علينا.

وإنما يرتفع علينا حينما نسلّمه إرادتنا.

حينما نخضع نحن له ونسلّمه قيادتنا. ولكن اطمئن يا أخي، فالعدو ليس

له سلطان عليك. لأن الله قد أعطانا السلطان أن ندوس على "الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ" (لو١٠: ١٩).

يمكن أن يحاربك فكر رديء، وتكون لك القدرة على طرده. ولكنك إذا استسلمت له، فإنه يقوى عليك. وكلما تفسح له مجالًا، يسيطر. وهنا يرتفع العدو عليك.

عبارة (إِلَى مَتَى يَرْتَفِعُ عَدُوِّي عَلَيَّ؟)، قد تعني أيضًا: إلى متى ينتصر الشر على الخير في العالم؟ إلى متى قايين يقتل هابيل، وهيرودس يقتل المعمدان؟! وإلى متى يستطيع الشوك أن يخنق الزرع النامي؟!

إن عبارة (إِلَى مَتَى يَرْتَفِعُ عَدُوِّي عَلَيَّ؟) تحمل معنى طيبًا، إذ أننا نعتبره عدوًا. لأن الشيطان كثيرًا ما يظهر كصديق!!

يظهر كملاك من نور (٢كو١١: ١٤) أو كحكيم يقدم لك نصيحة، أو يقول: "لك أعطي ممالك الأرض ومجدها" (مت٤: ٨، ٩) أو يلبس ثياب الحملان وهو ذئب خاطف (مت٧: ١٥).

لكن ما دمت قد عرفت أنه عدو، احترس إذًا منه، ولا تفتح له قلبك ولا فكرك. وكما تتضايق من ارتفاع هذا العدو عليك، لا ترتفع أنت أيضًا على أحد. كن متواضعًا، وبهذا التواضع يمكنك أن تغلب الشيطان المرتفع.

أيضًا حينما يدرك داود ارتفاع عدوه عليه، يصرخ قائلًا:

"انْظُرْ واسْتَجِبْ إليَّ يَا ربِّي وإلَهي".

أنت الإله ضابط الكل، انظر ماذا يفعله عدوِّي بي. وأنقذني منه، لأنك أنت

هو ربي وإلهي. أنت المعين والحافظ. أنت الذي يحكم للمظلومين (مز١٤٦: ٧). استجب لي إذًا، لأني في خطورة.

"أَنِرْ عَيْنَيَّ لِئَلاَّ أَنَامَ نَوْمَ الْمَوْتِ" (الوفاة)".

أنر عيني، فلا أحيا في الظلمة، لأن الخطية ظلمة. أعطني أن أستنير بروحك القدوس، ولا أسلك في العمى الروحي، مثل الذين لهم عيون ولكنها لا تبصر (مت١٣: ١٤). أنر عيني أيها النور الحقيقي، لكي أبصرك وأبصر الطريق الذي يوصل إليك. وحينما يضغط عدوّي عليَّ، أنر عيني لأبصر أن الذين معنا أكثر من الذين علينا (٢مل٦: ١٦).

"اكْشِفْ عَنْ عَيْنَيَّ فَأَرَى عَجَائِبَ مِنْ شَرِيعَتِكَ" (مز١١٩: ١٨). أعطني الإيمان الذي به أرى ما لا يرى (عب١١: ١). ولماذا؟

لئلا أنام نوم الوفاة. لئلا أسقط ولا أقوم. لئلا أموت الموت الروحي. وأجرة الخطية هي موت (رو٦: ٢٣).

هذه الكآبة التي أنا فيها، لها مطلب عند الشفقة التي فيك. فأنقذني من هذا الموت، موت الخطية، هذا الخوف من الموت، هو حجة يستدر بها عطف الله عليه، وأيضًا:

"لئلا يقول عدوّي إني قد قويت عليه".

إن فخر العدو هو في إسقاطنا. وكما أن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب، أكثر من تسعة وتسعين بارًا لا يحتاجون إلى توبة (لو١٥: ٧). كذلك الشيطان يفرح ببار واحد يسقط أكثر ٩٩ خاطئًا لا يعوزهم السقوط. إنه يفرح بسقوط

البار ويقول قد قويت عليه. لذلك يقول داود:

"الذينَ يُحْزنُونَنِي يَتهلَّلُونَ إنْ أنَا زَلَلْتُ"

هؤلاء الذين يفرحون بالإثم، ويشمتون بي. كما قيل له في سقطته: "جَعَلْتَ بِهذَا الأَمْرِ أَعْدَاءَ الرَّبِّ يَشْمَتُونَ" (٢صم١٢: ١٤).

ما أكثر المزامير التي يشكو فيها داود من شماتة الأعداء:

إنه يقول: "يَا إِلهِي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، فَلاَ تَدَعْنِي أَخْزَى. لاَ تَشْمَتْ بِي أَعْدَائِي" (مز٢٥: ٢). ويقول أيضًا: "حَتَّى مَتَى الْخُطَاةُ يَا رَبُّ، حَتَّى مَتَى الْخُطَاةُ يَشْمَتُونَ؟!" (مز٩٤: ٣). ويقول كذلك: "أعظِّمُكَ يا رَبُّ لأَنَّكَ احْتَضَنْتني، ولَمْ تُشمِت بي أعْدائي" (مز٣٠: ١). وبنفس الروح يقول ميخا النبي: "لاَ تَشْمَتِي بِي يَا عَدُوَّتِي، إِذَا سَقَطْتُ أَقُومُ" (مي٧: ٨).

"أَمَّا أَنَا فَعَلَى رَحْمَتِكَ تَوَكَّلْتُ. يَبْتَهِجُ قَلْبِي بِخَلاَصِكَ".

لتكن رحمتك يا رب أقوى من شماتتهم. ولتعطني أنت النجاح فلا يفرحون بفشلي. ولتعطني التوبة فلا يفرحون بسقطتي، أنا لا أتكل على مقاومتي للخطية، إنما على رحمتك توكلت. أنت برحمتك تخلصني، فيبتهج قلبي بخلاصك.

عجيب هو داود، الذي ينتقل من عبارة (الذين يحزنونني) إلى الابتهاج فيقول: "أُسبِّحُ الرَّبَّ الَمحْسِن إليَّ، وأُرتِّل لِاسْمِ الرَّبِّ العَالِي".

إنه يرتل، لأن الكتاب يقول: "أَمَسْرُورٌ أَحَدٌ؟ فَلْيُرَتِّلْ" (يع٥: ١٣). إنه مسرور بالرب، يبتهج بخلاصه. لقد قال: "أَنْظُرْ واسْتَجِبْ إليَّ يَا ربِّي وإلَهي".

والرب سمع واستجاب. وأحسَّ هو بهذا أثناء صلاته فابتهج وسبَّح... سبَّح الرب المحسن إليه. قبل أن ينال الإحسان، بل آمن به.

هذه القيثارة المحطمة اشتدت أوتارها مرة أخرى، فعزفت لحن التسبيح، وختمته بكلمة الليلويا.

وكأن داود يقول للرب: إن الكلمات التي قلتها في أول المزمور قد سحبتها الآن: سحبت عبارة تنساني، وعبارة تحجب وجهك عني. الآن يبتهج قلبي بخلاصك. إني أعتذر عما قلته. الآن عدوِّي لن يقوى عليَّ "الفَخُّ انْكَسَرَ ونَحْنُ نَجَوْنا" (مز ١٢٤: ٧). حقًا ما أجمل قول السيد المسيح:

"لكِنَّ حُزْنَكُمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ" (يو ١٦: ٢٠).

****

الفهرس

مقدمة الكتاب ٥

المزمور الأول طوبى للرجل.. ..... ٧

تأملات في المزمور الأول ٩

كلمة طوبى ١١

نصيحة للسلوك ١٣

مشورة المنافقين ١٤

وفي مجلس المستهزئين لا تجلس ١٦

لكن في ناموس الرب مسرته ١٧

تكون كشجرة مغروسة على مجاري المياه.....٢٤

تعطي ثمرها في حينه ٢٦

ورقها لا ينتثر ٢٨

وكل ما يعمله ينجح فيه ٢٩

ليس كذلك الأشرار ٣١

كَالْعُصَافَة ٣٢

سبحوا الربّ أيّها الفتيان ٣٥

التسبيح ٣٧

المزمور ٤٠

يا الله أنت إلهي، إليك أبكر مز٦٢ (٦٣)..... ٤٧

مناسبة المزمور ٤٩

هدفه ووسيلته ٥٠

يا الله أنت إلهي ٥١

إليك أبكر ٥٢

عطشت نفسي إليك..... ٥٤

يزهر لك جسدي..... ٥٧

في أرض مقفرة..... ٥٩

باسمك أرفع يدي فتشبع نفسي ٦٢

شفتاي تسبحانك لذلك أباركك في حياتي..... ٦٣

أذكرك على فراشي ٦٤

لأنك صرت لي عونًا وبظل جناحيك أبتهج ٦٦

أما الملك فيفرح بالله ويفتخر كل من يحلف به ٧٠

إلى متى يا رب تنساني ٧٢

في هذا الكتاب

نقدم إليك أيها القارئ العزيز هذا الكتاب الذي يضـــمّ تأملات في أربعة مزامير من صلاة باكر هي:

طوبى للرجل (مز ١) – إلى متى يا رب تنســـاني (مز١٣) – يا الله أنت إلهي إليك أبكر (مز ٦٣) – سبحوا الرب أيها الفتيان (مز١١٢).

وقد ســـبق أن قدمنا كتابًا عن المزمور الثالث (يا رب لماذا كثر الذين يحزنونني)، وكتابًا آخر عن المزمور الســـادس (يا رب لا تبكتني بغضـــبك). وإلى اللقاء في مزامير أخرى.

البابا شنوده الثالث